


بسم الله الرحمن الرحيم









هُويَّة الكِتاب



اسم الكِتاب: الدين فطرة و واقع

اسم المؤلِّف: السيد علوي الشهركاني

التَّصميم، والإخراج: أمين المدحوب

النَّاشر: دار الجواد

سنة الطَّبع: ٢٠١٩



الدين فطرة وواقع

بسم الله الرحمن الرحيم




والحمد لله رب العالمين وصلي الله على محمد
وآله الطاهرين وصحبه الصادقين.



المقدمة

أحببت أن أوقف القراء مشاركا لمن أوقفوهم امام الدين في زمان كثرت فيه الشبهات وازداد فيه التحدي للدين، ولا أدعي أنني في صف من كتب وأسأل الله التوفيق، وأن أكون ممن يكتبون عن دين الله ويبلغون كلمة الله وقد هدوإلى الطيب من القول وهدوإلى صراط حميد، وهذا صراط ربك مستقيما، وقد فصلت الآيات لقومٍ يتذكرون والأمر الذي أطرحه هنا بإيجازٍ أن أتحدث عن الدين، والحديث عن الدين كثير إلا أنني سوف أطرح معنى (الدين واقعٌ وفطرة) ولأن العنوان براق، وكلٍ يدعي الواقع، وكل يدعي أن طريقه هو الطريق الواقع النابع من الفطرة وأصل الخلقة وها أنت ترى الناس وكلٍ يقول هذه شرعة الناس وهذه عقيدتهم فلا بد من وقفة علمية منصفة بتوفيق الله عزوجل توصلنا إلى الأطروحة التي تحل مشكلة الإنسانية وتأخد العقول والعواطف والقلوب إلى الله عز وجل. وهو الرب العظيم القادر على هداية عباده إلى مافيه قوامهم دنيا وأخرى وهذا هو الغرض من هذا الكتاب المتواضع ولايدعي صاحبه الوقوف أمام كل الأطروحات ولكن الكتاب سوف يتكلم بعون الله عز

وجل وتوفيقه سيتكلم بلغة الدليل حتى يصل إلى النتيجة وهو يحترم من يخالفه في الفهم ويسأل الله تبارك وتعالى الخلوص والتوفيق. وإذا كان الغرض هو الوصول إلى الحل الواقعي النابع من الفطرة فإن هذا من أعظم الضمانات للوصول إلى الحقيقة حيث أن الواقع يفرض نفسه لأنه لغة الفطرة ولا إكراه في أمر راجع إلى فطرته وطريقه الضروري النير، ولنبقى مع الواقع الذي هذا ملاكه، وصل الله على خير خلقه وآله المنتجبين وأحبته وصحبه الصادقين.

للقراء جميعاً:

لا يفهم القراء من الكلام في المقدمة أن الكتاب قد كتبه كاتبه يخاطب به جهة تشاركه في كل قناعاته ومقدماته التصورية والتصديقية فإن الكاتب قد حرص أشد الحرص على الموضوعية ولكن كل متكلم مهما ادعى الإطلاق في طرحه وأنه يخاطب الناس بكل نزاهه إنه لا بد أن يتأثر بذاتياته من حيث يشعر أو من حيث لا يشعر ولكن الكتاب يعرف اطلاقه من خلال عنوانه وكفى انه فطرة واقع فلغته لغة واقعية نابعة من فطرة الإنسان وخلقته وليس يعني ذكر الدين أن الكتاب يكره أحداً فإن الدين إذا كان دين فلا يكون إلا دين الله فلا يكون إلا دين العقل والبعد عن الإكراه والقسر وها أنت الآن تبدأ الدخول في الكتاب وتقرأ شيئاً عن العنوان وهذا هو العنوان أمامك وكما أرجو قبل الدخول في العنوان أن تقرأ الكتاب بكامله فإنه يمثل قضايا مترابطة وبها تصل إلى الأطروحة التي تحل مشكلة الإنسانية، والقادرة على جمع البشرية بأخذها للعقول والقلوب وقدرتها على نشر الخير والعدل في الأرض. والآن ندخل في حديث العنوان.






شرح عنوان الكتاب

والآن ندخل في حديث عنوان الكتاب والحديث الدين واقع وفطرة أو قل فطرةٌ واقع

ومن الواضحات إن الدين لا يكون دين العباد جميعًا إلا إذا جاء طبق واقع العباد واقع الإنسان الشامل له في عقله لا يكون الدين دين العباد جميعاً إلا إذا جاء طبق واقع العباد واقع الإنسان الواقع الشامل له في عقله وعاطفته وروحه وشتى جهات حياته وهذا هو الدين المستحق بوصف الواقع القادر على أخذ كل إنسان وأنه الفطرة وأصل الخلقة وهذا هو القرآن الكريم يدعو الإنسان (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ..)[1] مائلاً عن الشهوات، أقم وجهك متجهاً إلى الكمال والسعادة في الدارين، إنه فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ولا تبديل لواقع هذا الإنسان. ومن هذه الوقفة نعلم أن الدين ليس طقوساً تتمثل في عبادة كعبادة الصنم وعبادة البقر فإن الدين أسمى وأسمى. إن الدين هو صراط ربك مستقيماً، ونهج حياة إنه العقيدة الحقة المتمثلة في أصول الدين المترابطة. هذه الأصول التي تنبع منها الشريعة الشاملة لشتى جهات الحياة وهنا يتجلى معنى أن الدين واقع وفطرة فالعقيدة واقعية فطرية والشريعة الصادرة من هذه الأصول هي الشريعة الإنسانية السمحة السهلة وأهم أمر أن يكون الحديث عن الواقع فإن المشكلة مشكلة الحل الواقع لأزمة هذا الإنسانية ولا بد من معرفة ذلك بالوقوف أمام شتى الأطروحات والسؤال الأول الذي نطرحه هو

---

١ الروم: ٣٠

ما هو ميزان الواقع ؟

فإن في الوقوف أمام هذا الميزان وقوف أمام الأطروحات التي دخلت وادعت القدرة على تنظيم حياة الانسانية وصارت لها نظرتها إلى الكون وأحكامها المطلقة من تلك النظرة حسب ادعائها وقد أثرت كثيراً وإلى الآن لها وجودها الكبير في دنياه و الهزيل في حقيقته فلا بد من وقفة علمية قوية أمام الميزان حتى نصل إلى الحقيقة ونحن نرتوي من معين علماء مخلصين قد جدوا في الرد على الحسيين رداً منطقياً حاراً قد شاع وذاع ولا مثيل له .

ميزان الواقع



تعددت المفهومات و الموازين التي توصل إلى الواقع وتعرفه ولكنني أطرح بايجاز بعض هذه الموازين حتى نقف أمام الميزان الحق ،والمصادر الحقة للمعرفة .

وها نحن نتسلسل في حديثنا ونطرح النظريات طرحاً واضحاً ومترابطاً ونبدأ بالوقوف أمام مدرسة الشك ولا نسميها مدرسة ولكنه التسامح بالتعبير والإنصاف في مقام الحق :

مدرسة الشك

مدرسة الشك تعني أنه لا علم بواقع الموجودات وهي تعيش التردد في ذلك وفيهم من يدعون الوصول إلى الواقع بالشك ولعل هناك من لا يرى وجوداً للأشياء ولا كلام لنا معه بعد أن رد على نفسه ووصل إلى الواقع من خلال هذا الشك فقال أنا أشك فأنا موجود لأنه

لا ينكر حقيقة الشـك ولما كان الشك نتاج فكره فلا بد وأن يكون فكره واقع وهو واقع وهكذا وصل إلى الواقع بالشك والمهم أن مدرسة الشك لا تمثل ثقلاً يستحق الاسهاب في الرد عليه بعد أن خالف الضرورة والبديهة وقد رد عليهم حتى الذين أنكروا ما وراء المادة.

مدرسة الحسيين

وهي المدرسة التي تدعي أن الميزان في الواقع هو الحواس والتجربة، فما يدخل تحت الحواس والتجربة فهو الواقع وما لا يدخل تحت التجربة فلا واقع له وبهذا يأتي إنكار ما وراء المادة والجرأة في إنكار فاطر السماوات والأرض ولا بد من تقديم بعض الردود عليهم بلغة موجزة واضحة.

الرد الأول حقيقة الإنسان:

فإن الإنسان نجده يغضب إذا سبه أحد فلماذا هذا الغضب؟ أهو للجسم؟ والجواب لا. وإذا كان الغضب ليس لهذا الجسم المحسوس ولكنه غضب من اجل نفسه فالنفس لاتدخل في الحس والتجربة وقد اعترف بها.

الرد الثاني قانون السببية:

أنت الآن تجد الإنسان عنده قوانين عامة فيقول كل حديد يتمدد بالحرارة، وماجرب كل الحديد وهكذا في قوانينه العامة في شتى العلوم وها أنت تراه يكتشف ويتطور فما هو الأمر الذي أوصله إلى هذا

القانون العام؟ فإن كان الحس فالحس يقف أمام جزء أو جزئية وكذلك التجربة تقع على جزء واحد أو جزئية واحدة. فكيف وصل إلى القانون العام ورأى هذه الحقيقة إنه الإعتراف بما وراء الحس والتجربة. لأن التجربة والحس ميدان جزئيات لا كليات.

الرد الثالث المعاني الإضافية:

إن هذا الإنسان يقف أمام المعلول، ويقف أمام العلة فيرى لها إستقلالاً ويشير إلى العلة ويشير إلى المعلول فهذه هي النار وهذا هو الشيء الذي يحترق فيها وهذا هو المحرك وهذه هي السيارة المتحركة وهكذا في كل العلل ولكن السؤال أنه يعترف بشيء اسمه العلية فأين العلية في عالم الحس والتجربة؟!

فإن التجربة والحس يدخل فيهما المعلول والعلة. فمن أين جاءت العلية؟! أوليست هي أمرٌ لا يدرك بالحس وأن العقل هو الذي اقتبس هذا المفهوم الإضافي وانتزعه من المعلول والعلة. فقد أدرك العقل مالم يدركه الحس والتجربة.

الرد الرابع المثال الوجداني:

وهذه ليست لغة فلسفة بل لغة وضوح فإن هذا العاقل إذا وقف أمام صورة لبحر أو حديقة أو إنسان إنه يتعجب من هذه الصورة ويسأل عن علتها فهل وصل إلى علة هذه الرسمة الجميلة بحواسه وتجربته؟ أم أنه وصل إلى هذا الرسام بعقله حيث رأى جمالًا وحكمة في هذا المصنوع. فيا من تتعجب من صورة رسامٍ رسم واقعًا ألا تتعجب

من خالق هذا الواقع. أتعجب ممن رسمها رسمًا جميلًا مطابقًا لواقها حسب إدراكك ولا تعجب من خالق واقع صورة البحر والحديقة والسماء والإنسان العجيب.

الرد الخامس قانون من أين:

قولك أنك لا ترى الحقيقةَ حقيقةً إلا إذا دخل تحت الحس والتجربة هذا القول هل خضع للتجربة والحس؟ أم أنك توهمت قانونًا عامًا واعترفت بما وراء ذلك من حيث تشعر أو لا تشعر بالتناقض؟.

المدرسة الواقعية

وبعد هذا وصلنا إلى الحقيقة أن هناك ميزان وهو العقل الذي يصل إلى ما لا تصل إليه الحواس، العقل الذي يقول إن هناك وجود واقعي للأشياء وأن الموجودات ليس المحسوسات والمجربات وأن هناك موجودات فوق المادة والتجربة وهي الأهم وهي التي تخترع وتتصرف في كنوز الوجود وبهذا الوجود المعنوي وهو العقل به الوصول إلى الله تبارك وتعالى وها نحن الآن نقف أمام الوجود الذي نحس به ونسأل تحت عنوان مبدأ الوجود والآن نطرح السؤال ونحن ننظر إلى الموجودات وما حولنا والسؤال ماهو مصدر هذا الوجود؟ ومن أين جاءت هذه الموجودات من ذرتها إلى مجرتها ونطرح احتمالات.







مصدر الوجود

ونطرح أجوبة :

الأول: أنها أوجدت نفسها

إن هذه الموجودات التي أمامك، إن كل واحد منها أوجد نفسه، فالسماء أوجدت نفسها والقمر والكواكب والأرض والبشر كل قد أوجد نفسه وهذا كلام لا يقبله العقل فإن العدم لايعطي شيء وهو عدم فكيف يأتي العلم من الجهل؟ وكيف تأتي الحياة من الموت؟ فما كان عدماً لا يعقل انتقاله إلى الموجود بنفسه وهذا أمر واضح

الثاني: أوجدها العدم

والعنوان هذا يكفي للرفض فإنها إذا كانت غير موجودة ثم وجدت فكيف يوجدها هذا العدم نفسه؟ فهل سمعت بصفرٍ وحده يصنع عددًا فإن الصفر لا يمثل شيئا إلا إذا نسب إلى عدد وذلك الصفر على اليمين.

الثالث: لا علة لها

والذي يقول إن هذه الموجودات المتقنة كلها لا علة لها فليست أوجدت نفسها ولا العدم أوجدها ولكنها لاعلة لها. فماذا نصنع في قانون العلية؟ وهل نكمم العقل ونمنعه من السؤال؟ .

الرابع: الوجود الاتفاقي

إن هذا الكون بما فيه من الحكمة والجمال كله جاء صدفةً والسؤال الذي نسأله به صاحب هذا القول إنك إذا تمكن منك مرضٌ خطيروأخذت إلى المستشفى وأنت في غشوتك واستيقظت معافى وسألت من حولك في المستشفى من الذي عالجني ؟ وإلى هذه العافية أوصلني ؟ فقيل لك إنها الصدفة التي أخذت الطبيب وقد حملته العاصفة وأدخلته المستشفى و با لإتفاق رآك و باللإتفاق عرف مرضك با لإتفاق والصدفة عرف دواءك وبالصدفة تمكن من علاجك . وهكذا حتى لبست ثوب العافية .

فهل تقبل هذا الجواب؟



وإذا كنت لا تقبل أن يكون طبيبك الصدفة، فكيف تقبل أن ما هو أعظم وهو وجودك قد جاء صدفة ؟

الخامس: الوجود الدائري

لو قيل لك إن أباك هو الذي أوجدك وجدك، أوجد أباك، وأنت أوجدت جدك، وهكذا تكون دائرة من ثلاثة أجزاء. فإنك لا ترضى بهذا الجواب وما ذلك إلا لأنك تدرك التناقض حيث تكون أنت عدم وغير موجود ثم بعد ذلك تكون موجوداً حتى توجد جدك فأنت عدمٌ ولا عدم وهو المشى بالدور وهو باطل للزوم التناقض .



السادس الوجود التسلسلي

المثال الأول:

نفسـه وهو أنك قد أوجدك أبوك وأبوك أوجده جدك وهكذا تتسلسـل إلى ما لا نهاية وكأنها تتمثـل في خطوطٍ أفقية أقصرها الخط الأول وكلما صعدت إلى فوق كانت الخطـوط أطول إلى مـا لا نهاية. والجواب إنك مهما أردت أن تسكت العقل وتقول إن المتقدم أكمل من المتأخر ولكن السؤال أن الخطوط مهما كانت في سابقها الطولية فإنها محدودة وحتى ولو فرض أنه لا انتهاء للتسلسـل ولكن العقل يدرك في هذه السلسلة عنصر الانتهاء مهما أمتدت في عمق القدم فكلها ناقصةٌ وحادثـةٌ لأن لها حدودٌ متناهيةٍ مهما طالت وكان سـابقها أطول من لاحقهـا فلا بـد من مبدأ لهـا الوجود إله الحـق أول لا أولية لـه وأخر لا آخرية له سبحانه وتعالى.

الإله الحق

فقد وصلت بعد أن وقفت أمام الشـكيين والحسـيين والعلل المتوهمة وأدركت أن هناك مبدأ لهذا الوجود الحادث أن الذي أوجده أول لا أوليـة له وآخر لا آخرية له وأنه قبل كل شيء وبعد كل شيء وفوق كل شي والمحيط بكل شيء، سبحانه وتعالى سبحان من لم يطلع العقول على تحديد صفته ولم يحجبها عن واجب معرفته وهو الذي أوقفها أمام الأدلة التي توصلها إليه يا من دل على ذاته بذاته.



ضرورة الأدلة

إن الذي خلق الإنسـان هو الذي فطره على توحيده وطمن قلبه لا إله إلا الله لعلمه سبحانه أن الإنسـان المجبور على توحيده عرضه الأوهام والشبهات وهو الذي يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون.

إعتذار إلى الملك الحق

قال إمامنا سيد الشهداء عليه السلام: إلهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقرٌ إليك أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك، عميت عين لا تراك عليها رقيباً وخسرت صفقة عبدٍ لم تجعل له من حبك نصباً والحمد لله الذي جعل لنا نصيبا من حبه بنطقنا بالصلاة على محمد وآل محمد اللهم صل على محمدٍ وآل محمد.

وقد قال الجليل جل وعلا (أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى)[٢]؟

٢ إبراهيم: ١٠





الأدلة على وجود الخالق

وها نحن نقف أمام الأدلة على وجود الخالق التي أرشد عباده إليها واستثارت الانبياء بها دفائن عقول العباد

الأول: دليل الخلق

قال أحد أئمتنا عليهم السلام لما سئل عن الدليل على وجود الخالق سبحانه وتعالى قال له بالمعنى: إنك وهذه الموجودات لم تكونوا موجودين وما أوجدتم أنفسكم فلا بد من موجد أوجدكم وهو الله سبحانه وتعالى. وقال جل وعلا (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ)[3]، فإن المخلوقات كلها من أعلام وجوده سبحانه وتعالى.

الثاني: دليل الأبداع والجمال

فانظر إلى السماء و زرقتها وهي سبع سماوات تراها واحدة، وانظر إلى جمالها في النهار بهذا اللون العجيب، وانظر إلى جمال السماء في الليل وقد زينتها النجوم وأنظر إلى جمالها قرب الفجر و تمعن في جمالها بعد الطلوعين وعند طلوع الشمس وعند الغروب، وانظر إلى جمال الغرب بحرها وخضرة نباتها و انواع ألوان حدائقها وأنظر إلى هذه الحيوانات في شتى صورها و انظر إلى هذا الإنسان الذي هو أجمل موجود في حسه ومعناه، و انظر إلى جسمك وصورتك وكمالك وقل تبارك الله أحسن الخالقين. الحمدلله رب العالمين.

---

٣ الطور:٣٥

الثالث: دليل النظام

فأنظر إلى نظام الكون والشمس تجري ولا ينبغي للشمس أن تدرك القمر ولا الليل سابقُ النهار ،فإنظر إلى هذا الكون في مواقيته الموافقة لمواقيت الصلاة وأنظر إلى نظام خلقك وتركيبة جسمك ورأسك وأقرء شيءٍ من دعاء الحسين في عرفات عليه السلام. وأنظر إلى هذا النظام العجيب الثابت وها أنت قد رأيت الشمس تجري منذ وجدت إلى الآن وهي تجري لمستقرٍ لها فكفا وكفا دليلًا على عظم الخالق والمبدع والمنظم لك شسءٍ سبحانه وتعالى.

الرابع: دليل الغاية

أنظر إلى الموجودات فإنك تجد لها غاية وهناك غرض من وجودها ، فلوجود القمر غاية وللشمس غاية ولحواسك غاية ولليل غاية وللنهار غاية ، فما خلقت الموجودات عابثة بل هي في خدمتك وأنت تجد نفسك ةأنت في حياتك تحمل غاية من أعمالك ولا ترضى ضياع أوقاتك بلا غرض. فسبحان الذي خلق الموجودات وهداها لغاياتها وسبحان الذي قدر فهدا.

الخامس: دليل الهداية

من علم المولود طلب ثدي أمه؟ ومن علم العصفور صنع عشه؟ ومن علم النحلة صنع خليتها؟ ومن علم الإنسان مالم يعلم؟ ومن علمه أن يكتشف ما يكون غريبا على من سبقه ، فهو الهادي لكل شيء والذي خلقني فهو يهديني والهداية تراها في الجميع المخلوقات والموجودات جامدها ونباتها وحيوانها وإنسانها.





السادس: دليل الآية العظيمة

سبحان الذي خلق بشراً من طين، وجعل منه نسلاً طيباً، وسبحان من خلق المرسلين عليهم السلام، وسبحان من خلق محمدا سيد الخلق أجمعين، وعرف به عباده وأنزل معه النور الذي يهدي إليه، ويعرف مقامه وأجره بأخيه وابن عمه قرين بضعته الطاهرة عليهم السلام. وجعل ذريتهم المعصومة حججه على خلقه وقد رآهم ناس ورأو ذراريهم ذريةً بعضها من بعض ورأوا كل واحد منهم فريد دهره وأكمل موجود يذكر بربه والآية العظيمة التي تدل على الخالق سبحانه وتعلم الناس آدابه وآداب حبيبه (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)[٤] وبحبيبه صل الله عليه آله بماذا يفسر وجودهم وأي عاقل ينظر إلى حياتهم وقد حاربتهم الدنيا فتحدوكل ظلمه وفي كل يوم تطلع لنا من أفقهم شمس جديدة وينشق علينا فجر جديد. فهل هناك آية أعظم من هذه الآية ودليل أعظم من هذا الدليل؟.

السابع: اسم الله

كلنا يعرف أن الخالق لهذا الخلق هو الله تبارك وتعالى، والسؤال العجيب من أين جاء هذا الاسم؟ وهل جاء من عند المخلوقين؟ ولا تجد تفسيرًا لوجوده وانتشاره بين الناس والباب ينسد عليك، والجواب أن هذا الاسم من عند الجليل جل وعلا له الاسماء الحسنى.

٤ آل عمران: ١٩١

الثامن: الدليل العددي

وهـذا الذي نطرحه تحت هذا العنوان ماهـو إلا كلام تقريبي فإن كل الأعـداد مهما كثرت فإن المتأخر منها يحتـاج إلى المتقدم ،والمتقدم لا يسـتغني عن المتأخر فالعشـرة تحتاج إلى التسـعة والتسعة لا تستغني عن العشـرة والتسـعة تحتاج إلى الثمانية والثمانية لا تستغني عنها إلى أن تصـل إلى الاثنين، فـإن الاثنين تحتـاج إلى الواحد والواحد يسـتغني عنها وهو العدد الغني عن كل عدد و يحتاج إليه كل عدد. فإذا كان هذا الواحد العددي ترى الأعداد تفتقر إليه فكيف بالواحد الحقيقي الذي هو الأول والآخر. أول قبل كل أول آخر بعد كل آخر و بأوليته علم لا أول لـه، و بآخريته علم لا آخر له، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو اللطيف الخبير




التاسع: دليل البيت الحرام

هـذا البيت الـذي تراه أمامك لا ينافسـه بيت إن هـذا آية من أعظم آيات الله، فسـبحان من عظمه وجل له جمالا ودلالا فيه آياتٌ بيناتٌ مقـام إبراهيم ومن دخله كان آمنًا وها أنت تراه كم تحدته الدنيا فما إستطاعت أن تجل مثله بيتا وقد جعله الله للإسلام علما وكفى.

العاشر: القرآن الكريم

فـإن بقاء القرآن في حقائقه وبلاغته وقوانينه وثباته أمام الأخطار الـتي واجهته حتى من أهله الذيـن ادعى بعضهم تحريفه ومع ذلك تراه ثابتاً أمام التحديات وقد اعترف به حتى غير المسلمين من الكتب الأخرى قد اعترف أهلها بتحريفها وأما القرآن فإنه يبقى نورا وبيانا للناس وهدى للمتقين وسيبقى بيانا حتى يسود الأرض ويملأها قسطا وعدلا.

الحادي عشر: الموت

فإن العقلاء ما أجمعوا على شي، ولكن قد أجمعو على الاعتراف بالموت. وإذا رأيت الموت في أسبابه ونظرت إليها فإنك لا ترى شخصا مات لسبب إلا ومثله عند حي فلا يفسر الموت إلا الغيب ووجود الإله الحق الذي توحد بالعز والبقاء وقهر عباده بالموت والفناء ولولا الموت لحسب بعض الناس أنهم آلهة فهو الذي يعرفهم بضعفهم وعبوديتهم لله عز وجل ولذلك تجد المشيعين للجنازة يقولون «هذا ما وعد الله ورسوله وصدق المرسلون» فالموت يحمل التوحيد والمعاد والتصديق بما جاء من عند الله يحمله للمتأمل المتفكر.

الثاني عشر: بقاء الإسلام

فإن بقاء الإسلام مع كثرة العقبات التي واجهته من الداخل والخارج فإن هذا البقاء يكشف عن أمر ويدل على وجود الهدى ودين الحق ولا بد أن يظهره الله على الدين كله وإن هذا البقاء آية من أعظم الآيات على وجود الخالق تبارك وتعالى.

رفع وهم

قد يتوهم بعض القراء أن الإستدلال على وجود الخالق سبحانه بأمور تحتاج إلى إثبات من قبله أن في هذا الإستدلال دور، والجواب أننا لم نعبد القارئ بها ولكننا نجعل منها مرشدا يناغي العقل ويعرفه بخالقه



الإيمان الكامل

وصلت إلى ربك الكامل المنزه عن كل نقص والذي لا يبلغ حقيقة مدحه القائلون ولا يكيف بكيف، وقد سبق الأوقات كونه والعدم وجوده، والإبتداء أزله جل وعلا فسبحان من أول الدين معرفته، والتصديق به وكمال التصديق به، توحيده فالواحد هو الكامل في الاعداد الذي لا يحتاج إلى عدد، وسبحان الواحد الأحد الحق وها نحن نقف أمام التوحيد في حقيقته وأقسامه.

١. التوحيد في حقيقته

ولا بد من الوقوف أمام التوحيد الذي به تمام الإيمان أم كامل بالخالق وتنزيهه من كل نقص فسبحان من هو مقدر لا بجول فكرة وفاعلٌ لا بإطراب آلة وغنيٌ لا باستفادة وكلما يتوهم فيه فهو مردود علينا وقد قال مولانا أمير المؤمنين وقد جمع التوحيد والعدل فقال عليه السلاس التوحيد الا تتوهم والعدل ألا تتهمَ




التوحيد في حقيقته وأقسامه

١. أولا: نفي الشريك.

شهد الله لا إله إلا هو وقد تكلم الكثير في هذا المجال ومتى كان في توحيد الله شك والتوحيد فطرة، ولكنها فتنة الدنيا التي جعلتنا نحتاج إلى الأدلة على وحدانيته وأنه لا شريك له. ويمكن أن نقدم الأدلة الموجزة في أمور

- الأول: لوكان هناك شريكٌ لخالقك للزم من ذلك أنه مركبٌ مما يشاركه فيه شريكه ومما يميزه عن شريكه والتركيب نقص وصفة المخلوقين.
- الثاني: لو كان لربك شريك لأتتك رسله، لأنك جعلته في رتبتِهِ سبحانه والأحكام في الإله الكامل واحدة، فأين رسل هذا الإله؟
- الثالث: لو كان ربك شريك لعرف نفسه بخلقه وهذا هو الكون كله يشهد ألا إله إلا الله ويدل على إله واحد
- الرابع: أن الصانع الواحد هو الأصل،ومن يدعي خلاف ذلك هو المطالب بالدليل
- الخامس: لو كان لربك شريك لتميز خلق هذا عن خلق هذا حتى يعرف كلٌ ربه ونحن نرى الكون واحدٌ في نظامه وما فيه من الخلق فالمنظم واحد سبحانه وتعالى



٢.ثانيا لم يلد ولم يولد:

مـا أكثراللوازم الباطلة المترتبة على نسـبة الولد إلى الله عز وجل وعلى ربنا عن ذلك فهذه بعض الأدلة:

١. لو كـان لربك أولاداً فلا بد وأن يكون مخلوقا فمـن الذي خلقه؟ فإن خلقه شريك فقد نفيت الشريك من قبل، وأن خلقه الله عز وجل فهذا ليس ولد بل هو عبد من عبيده

٢. لـو كان لربك ولـد للزم أن يكون في رتبته لأن الولد يخلف أباه ويحمل صفاته والله سبحانه وتعالى لا شريك له

٣. لو كـان لربك ولد فلابد للولد من أم فيلزم أن يكون جبار السموات والأرض له صاحبة وزوجة

٤. إنك إذا لم تدرك بعقلك إستحالة الولد ألا تدرك أن الأولياء والأنبيـاء أعرف بذلك وقد قال الجليـل (قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ)[٥]، فكيف يكون أول العابدين وسـيد الخلق يجهل ذلك؟



٥. إذا توهمـت أن له ولدٌ ولم يخبر عن ذلك لحكمة فقد بين الله ذلك في كتابه، فقال مخاطبا لحبيبه صل الله عليه وآله (قُلْ هُـوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ..)[٦] سـبحان الأحد الذي لو كـان له ولد لصمد الخلق إليه وتوجهوا إليه كمـا يتوجهـون إلى الله عز وجل و لكان له كفؤ وقد قال جل وعلا ولم يكن له كفؤا أحد.

---

٥ الزخرف: ٨١

٦ الاخلاص: ١-٤

٦. لو كان له ولد لكان منه كما عن مولانا الرضا عليه السلام بالمعنى فإن كانت من البعضية فقد جزأت ربك وبعضته وإن كانت من الاستحالية فقد جعلته محلًا للإستحالة ،وإن كانت من الولدية فقد جعلت له زوجة وصاحبة ومناكحة فتعالى ربنا عن ذالك علوا كبيرا وإن كانت من الخلقية وأنه من خلق الله عزوجل فهذا هو المطلوب وقد ألقن الإمام ذالك الخصم حجرا .

٣.نفي صفات المخلوقين

ميّزت ربك أنه علا مكانه، وشيء لا كالاشياء، وأنه هو الخالق، واذا اعترفت بخالقيته فلابد أن تعترف بصفات الخالق جل وعلا، وأنه منزه عن كل نقص فإن المخلوق يحويه مكان، والله لا يحويه مكان، والمخلوق حادث في زمان، والله سبحانه وتعالى لا يحويه زمان، والمخلوق تقومه الأحوال وتقول له كيف حالك؟ والله سبحانه ما وحده من كيفه، والمخلوق يعلم بآلة، والله هو العالم للعلم بلا آلة، والمخلوق يستغني باستفادة، والله هو الغني، والمخلوق يقدر مايصنع قبل صنعه له، ويتدبر في أمره، والله سبحانه وتعالى هو المقدر بلا جول فكرة، والمخلوق يتكلم بروية والله متكلم لا بروية، وعالم بالمعلومات بلا آلة المخلوقين، سبحانه وتعالى وكمال توحيده نفي الصفات عنه لوضوح أن الصفة غير الموصوف، والمخلوق تصفه بما هو أمر عارض عليه، فما كان قادراً ثم حصل على القدرة وما كان عالما ثم اكتشف العلم، وليس عنده وحدة الصفات والذات بل صفاته كما قلنا يكتسبها، وأما الله عزوجل فصفاته عين ذاته .



٤.وحدة الصفات والذات

فلان قادر وقد عرضت عليه القدرة، فالقدرة مكتسبة والخالق قادر قدرة تمثل اسما من أسمائه، والمخلوق عالم علم مكتسب بالتفكر أو غير ذلك، والله عالم بكل ما كان وما هو كائن ومايكون والمعلومات حاضرة عنده ويستوي عنده الماضي والحاضر والمستقبل والظاهر والباطن فهو المحيط بكل شيء وليس كمثله شيء والمخلوق تعرضه الحياة والله هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين وهكذا تدرك أن صفته عين ذاته، ويمثلون بذلك للتقريب بسراج محاط بقارورة ذات ألوان متعددة، أو مصباح ملوّن بألوان متعددة فإن الألوان في تعددها أحمر وأصفر وأخضر وغيرها كلها تشير إلى سراج واحد ومصباح واحد، فكذلك صفات الله عز وجل التي هي صفات الذات وكلها تشير إلى مسمى واحد، منزه عن كل نقص



٥.تقسيم الصفات

وقد يقول قائل إذا كانت صفات الله عز وجل عين ذاته فمن صفاته الرازق وها نحن نجده يعطي من يشاء ويمنع من يشاء فكيف نجمع بين وحدة الصفات ؟ وهذا الجواب: إننا بحاجة إلى الجواب والجواب في تقسيم صفات الخالق وصفات الخالق التي نصفه بها تنقسم إلى ثلاثة أقسام

صفات الكمال: الصفات التي ذكرناها فيما سبق أنها اسماء الله عز وجل، ونفيها عنه نفي الكمال، فلا تستطيع أن تقول شاء أن يقدر وشاء أن لا يقدر، وهكذا باقي الصفات لأنها عين ذاته، وكذلك في العلم

فلا تستطيع أن تقول شاء أن يعلم ، وشاء ان لا يعلم سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا

صفات الجمال: وأما صفات الجمال فهي أفعال الله عز وجل التي تجتمع مع كماله وكرمه، فهو الذي يرزق وهو الذي يعطي وهو الذي يغني وهو الذي يغفر، وهو الرحيم الودود، فهناك صفات تناسب كرمه وكماله وهناك صفات أفعال يوصف بها الخالق ولكن هذا ما أقتضاه عدله سبحانه وتعالى، فلا تستطيع أن تصفه صفة تأخذها من بعض الأفعال فلا تصفه بصفة تأخذها من العذاب والغضب والمكر فإن هذا لا يجمتع مع جماله، وكانت صفات الجمال هي التي تعبر عن الكرم.

صفات الجلال: وهي صفات سلبية ننزه الخالق عنها، فيجل ربنا أن يكون له شريك، فإن مقامه عظيم لا يجتمع مع الشريك والولد والظلم والجهل وغيرذلك من الصفات التي تأتي بلغة النفي، فهو يجل عنها ويكرم عنها ، كما أنك تصف كريماً ذو خلق بصفات تجتمع مع كماله وكرمه وصفات تنزهه عنها فتقول فلان كريم وصادق وتنفي عنه أشياء وتقول أنه منزه عن البخل والكذب والخيانة، فهذا مثال تقريبي لصفات الجمال والجلال، فالرازقية مثال من صفات أفعاله، وأفعاله سبحانه خاضعة لحكمته، وقد شاء أن يرزق هذا ولداً وآخر لايعطيه ذلك، فإذا فرقت بين صفات الكمال وصفات الجمال وصفات الجلال عرفت الجواب.

لازلنا في الحديث عن الخالق جل وعلا وعن صفات الجلال التي يجل الخالق عن الاتصاف بها، ونحن نعتقد بأن الله متكلم والسؤال

يطرح نفســه الآن، أن الله متكلــم، وأن القرآن كلام الله عز وجل، ونحن نفهم من الكلام أنه صفة حادثة عارضة على المتكلم ويكون فيها محلاً للحوادث فهـذا الموجود الـذي هو موضوع للحوادث وتعـرض عليها الحركة والسـكون والقرب والبعد والصحة والمرض والكلام في ضمنها فإنه ساكت وإذا هو متكلم، فيقال متكلم، وهنا نسأل كيف تصفون الخالق وتشـيرون إلى القرآن الكريم وتقولون هذا كلام الله وقد كلم الله موسى تكليما، فما هو الجواب؟

الجـواب: إننا عندما نقـول أن الله متكلم لايعني أن كلام الله من لسان ومن مخارج حروف، بل يعني ذلك أن الله بقدرته يحدث الكلام ويلبسـه موجوداً من الموجودات والموجود هذا لايتكلم وليس له شأنية ذلك، ولكن الكلام كلام الله الذي خلقه وأحدثه في هذا المخلوق، مثل كلام الله سبحانه لعبده موسى عليه السلام، ولعل هذا المقدار يكفي ومن أراد التوسع فليرجع إليه في مضامّه.




٦.التوحيد في الخالقية

أن الله سـبحانه وتعـالى هو الخالـق المصور ابتدأ الأشـياء لا من شيء كان قبلها وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها كونها بقدرته وذرأها بمشيئته من غير حاجة منه إلى تكوينها ولافائدة له في تصويرها، فهو الـذي أخرجها من العدم وصورها بهذه الهيئات، بلا حاجة ذلك، وقد تقـول أن عيسى عليه السـلام يخلق من الطين طيراً ولكن ذلك بإذن الله وإقداره سـبحانه وتعالى، فهو الخالق ولا خالق لذاته سواه سبحانه وتعالى.

٧.الغاية من الخلق

وما خلق الله الخلق بحاجة إليهم، ولكنه خلقهم لعبادته وأخرجهم من ظلمة العدم، حتى يشرفوا بكمال الوجود وكمال العبادة له، وهو الكريم الذي يقتضي الخلق كماله وكرمه، والكريم لا يُسأل كيف أعطى لأنه كريم فكيف برب العالمين سبحانه وتعالى، وقد أجابت سيدة النساء عليها السلام على هذا السؤال في خطبتها سلام الله عليها فقالت عليها السلام في بيان الغاية من الخلق (من غيرحاجة منه الى تكوينها ولا فائدة له في تصويرها الا تثبيتاً لحكمته وتنبيهاً على طاعته واظهارا لقدرته وتعبداً لبريته واعزازا لدعوته..)[٧] فقد أراد الله لهم أن يشرفوا ويكملوا بمعاينة لحكمته في أنفسهم وماحولهم وأنه قد وضع الأشياء في مواضعها وخلقهم حتى يدركوا وجوب طاعته وهم يرون نعمته عليهم وأراد لهم العز أمام عظمته وهم يرون قدرته وحتى يسلموا لأوامره عن بصيرة وعلم حتى يخشوه ويسجدوا لربهم لما يرون من قدرته وبذلك يكونوا جنودا للحق جنود إعزاز دعوته، هذا الاعزاز الذي هو شرف الدنيا والآخرة وجنة الدنيا والآخرة.

٨.التوحيد في الربوبية

إن خالق كل شيء ومربي كل شيء هو الذي خلقهم أطواراً ، هنيئاً لمن تأدب بآداب ربه وقد قال الجليل عن حبيبه صلى الله عليه وآله ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٨] فهنيئاً لمن تأسى به وبآله الميامين ذلك الفخر، وقد فخر بربوبيته جل وعلا أبو الحسن ،كفاني فخرا أن تكون لي ربا والله ولي الذين آمنو يخرجهم من الظلمات إلى النور بأوليائه الذين يتأدبون بآدابه .

٧ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦ - الصفحة ٣٣١
٨ الاحزاب : ٢١

٩.التوحيد في العبادة

فلا معبود سواه ولايصح الركوع والسجود إلا له سبحانه وتعالى فالمؤمن يخص ربه بالعبادة ويذكر قوله جل وعلا في سورة الفاتحة (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[٩] وبهذا يكسر كبرياء النفس كما قالت البتول فاطمة عليها السلام -والصلاة تنزيهاً عن الكبر- وقد قال جل وعلا في كتابه الكريم (إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ)[١٠]، وهو الإله ولاإله سواه وقد خاطب جل وعلا عيسى عليه السلام -(أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ)[١١] - فهو المعبود سبحانه ولا معبود سواه.

١٠.التوحيد في الاستعانة



ولما كانت النفس أمارة وطاغية وتمشي مع الشهوات لذلك صعبت عليها العبادة، وخلوص النية إلى الله عزوجل، ولكن الذي وجبت عليك عبادته وتخصيصه بها هو المعين عليها وقد أمرهم بالاستعانة به، فقد قال (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[١٢]فهو الذي نستعين به على عبادته، وتشرك في عبادتك و استعانتك لسان المؤمنين في قولك (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) حتى لا ترى عبادتك لوحدك شيء.

١١.التوحيد في الخوف والرجاء

قال رسول الله صل الله عليه وآله، - لايرجوّن أحدكم إلا ربه، ولا يخشى إلا ذنبه - فارجوا فإن الله بالغ أمره، واخش ربك لأنه هو

٩ الفاتحة : ٥
١٠ الأعراف : ٢٠٦
١١ المائدة : ١١٦
١٢ الفاتحة : ٥



الـذي يبعدك عن رضا و رحمته، فإن من الذنوب ما يقطع الرجاء وكن واقفاً بين يدي الخوف والرجاء، فخف ربك و ارجوا مـا عنده واخشى ذنبك و اكثر من الاستغفار واذكره سبحانه، فإن اسمه دواء وذكره شفاء، واذكره ذكراً يبعدك عن المعاصي، فإذا رأيت نفسك بعيداً عن المعاصي فقد لبست ثوب العافية، وكن خائفاً راجيا، وهذه أفضل العبادات، فإنك إذا قلت أنا في الجنة أمنت مكر الله، وإذا قلت أنا في النار فقد يئست من رحمة الله وإذا قلت لا أدري ما يصنع بي فهذا هو الإيمان وهذه هي النجاة.

١٢.التوحيد في الشكر

فلا تشكر المخلوق شكراً معزولاً عن الخالق، فاشكر الخالق أولاً فإن إليه تعود كل نعمة، وإنه وراء كل نعمة، ودافع كل نقمة، ولابد وأن تشكر المخلوق فإن من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق، فإن من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الخالق، وأن شكر المخلوق فرعٌ وأثر شكر الخالق.

١٣.التوحيد في المشيئة

ليس أحد يفعل ما يشاء الا الله عز وجل، وذلك لأن غير الله هم الخلق وكلهم محكومون لأحكم الحاكمين، والحمد لله الذي يفعل ما يشاء، ولا يفعل مايشاء غيره ولا معقب لحكمه سبحانه وتعالى (أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ)[١٣] وهو القادر على كل شيء وهو مالك الملك وقد فاز عبدٌ سلّم أمره للذي يفعل ما يشاء ورضي بمكروه قضائه.

١٣ النجم : ٢٤ -٢٥

١٤.التوحيد في الدعاء

أدع ربك صادقاً وقل – فإليك يارب نصبت وجهي وإليك يارب مددت يدي – وقد قال جل وعلا (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)[١٤] فاستجب لربك وكن مؤمناً حتى يتم دعاؤك.

١٥.التوحيد في الوسيلة

واعلم أنك تدعو الله ولاتدعو سواه، والدعاء توحيد خالص في التوجه إلى الله تبارك وتعالى ولأن الذي تدعوه قال لعباده (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)[١٥] فالصلاة وسيلة ومعراج إلى الله تبارك وتعالى وأولياء الله وسيلة إلى الله عز وجل، وذكر الله وسيلة إلى الله عز وجل، كما في دعاء كميل – اللهم إني أتوسل إليك بذكرك – وسؤال الأولياء وسيلة إلى الله عز وجل، وقد قال أخوة يوسف – يا أبانا استغفر لنا – وسؤال أهل البيت في قضاء الحوائج لإنهم لهم الشأن الأكبر عند الله عز وجل، ونحن ننظر إليهم ونسألهم بما لهم من المقام لأنهم يمثلون العبد الكامل في انقطاعه إلى الخالق تبارك وتعالى وهم أسماء الله عز وجل وقد تمت طاعتهم له، والتوحيد في الوسيلة يعني أنك تأخذها وتتلقاها من الله عز وجل فتتوسل بمن أُمرت بالتوسل بهم وكذلك الاستعانة بهم هو نوع وسيلة واستعانة بالله عز وجل بواسطة مقام هذا الولي الذي تمت عبوديته لله تبارك وتعالى.




١٦.التوحيد في الصبر

أنت عندما تصبر على ما أصابك، إن هذا الصبر لله وبعونه ومن

---

١٤ البقرة : ١٨٦
١٥ المائدة : ٣٥

أجل الله وتسليم لقضائه ورجاء لأجر الصابرين والصبر لوجه الله ونيل ثوابـه ورضوانه، حتى تنال أجر الصابرين الذين يوفيهم الله أجرهم بلا حساب وبلا حدود.

١٧. التوحيد في التوكل

كل معتمـد غير الله ناقص، والله رب كل شيء، والله هو الغني وأنتم الفقراء إلى الله، وكل كهف غير الله ناقص وكل حي غير الله له قيود والله هو المعتمد وهو المسنود إليه وهو كما قال عن نفسه وهو يخاطب حبيبه صل الله عليه وآلـه (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَـدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ)[١٦] والـكل يصمد إليه ويتوجه لله ويتوكل على الله وسل من كان في البحر كما قال أحدهم عندما سأل الإمام عن ربه قال في نهاية الكلام يا هذا إنك لما غرقت السفينة وتعلقت بالأخشاب وغيرها، وذهبت كل قواك فلا حركة يدين ولا حركة رجلين واستويت على ظهرك وقد ذهبت كل حركاتك فإلى من شبحت عينك وأنت تنظر إلى السماء ألا ترى أن عينك شبحت إلى جبار السماوات والأرض؟ ولا دليل أعظم من هذا الدليل.



١٨. التوحيد في التلبية

أنت في التلبية تنادي وتلبي وتؤكد وتقول لمنادى لبيك، إن التلبية لله عز وجل وما سواه ناقص فتقول في إحرامك ونيتك للإحرام لبيك اللهم لبيك، وتعلن خلوص التلبية بقولك لبيك لا شريك لك لبيك، وتبين مِلاك ذلك والعلة بقولك إن الحمد والنعمة والملك، فالنعمة لله والملك لله هذا العظيم الذي تخصه بالتلبية سبحانه وتعالى.

---
١٦ الإخلاص: ١- ٢



١٩.التوحيد في التسبيح

وأنـت عندما تقول سـبحان الله والحمـدلله ولا إله الا الله والله أكبر، وأنت تخلص له في تسـبيحك وتنزهه عن كل نقص، وتنزهه عن صفات المخلوقين وتخصه بالحمد وتعلن كلمة التوحيـد بأن الله أكبر من أن يوصف فأنت تسبح اسم ربك وتنزه ربك بذلك عن كل نقص، ولا تقول لأحد سبحانه إلا هو.

٢٠.التوحيد في التكبير

فإنك لما جئت لهذا التسبيح وقلت سبحان الله والحمدلله ولا إله إلا الله والله أكبر، إنك لما نزهت ربك عن كل نقص أحسسـت بلذة اللجوء إلى الكامل المنزه عن كل نقص، وأحسست بالعز به، فإن عظم الخالق عندك يصغر المخلوق في عينك، وأنه أكبر من كل شيء وأكبر من أن يوصف، وقولك في التسبيح ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم يدخلك تحت عنوان التوحيد في تمام التسـبيح وكماله، ماذا يعني هذا؟ إنه يعني أن التسبيح الكامل وهو قولك سبحان الله والحمدلله والله أكبر، إنك لا تصل لهذا إلا بعـون الله، فإن الحمد لله لا يصدر إلا عند راض بقضاء الله عز وجل، فلا بد من الاستعانة بالله عـز وجل، فاسـتعنت به على تمام تسـبيحه وحمـده وقلت ولا حول ولا قـوة إلا بالله العلي العظيم، فهو الذي يوفقك ويعينك على هذا التسـبيح، وقد نزهت ربك سـبحانه ووحدته وعلمت أنه أكبر من كل شيء، وكل ذلك بهدايته وعونه سبحانه وتعالى.



٢١.التوحيد في الحمد

إنك وأنت تقول الحمدلله رب العالمين إنك قد وحدت ربك في مقام الحمد لما علمت وأقررت أنه رب العالمين وكل محمود سواه راجع حمده له سبحانه وتعالى لأنه رب كل شيء وولي كل نعم والحمد هو مفتاح الذكر كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام – الحمدلله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره وسبباَ للمزيد من فضله ودليلاَ على آلائه وعظمته.

٢٢.التوحيد في الطاعة

توحيدك لله عز وجل إنه الأقرار بطاعته وأن وجوب طاعة الخالق وجوب عقلي قبل أن يكون وجوباُ شرعي، لأنه هو رب العالمين وهو المطاع أولاً ولا مطاع آخر إلا بإذنه سبحانه وتعالى، وأما طاعتنا للرسول صل الله عليه وآله الطاهرين عليهم السلام لأن الله سبحانه وتعالى قد عصمهم وأمرنا بطاعتهم وأخذ ديننا منهم عليهم السلام.

٢٣.التوحيد في التشريع

إن الله سبحانه وتعالى الذي وجبت علينا طاعته هو الذي شرع لنا من الدين ما أوصى به آدم والأنبياء عليهم السلام، وقد تمت الشريعة على يد سيد المرسلين صل الله عليه وآله، وقد جاء بالشريعة السهلة السمحة، والله هو المشرع سبحانه وتعالى، وتشريع الرسول الأعظم صل الله عليه وآله هو بإعلام من الله عز وجل حيث أعطاه الله عز وجل علم المصالح والمفاسد، فبإطلاع الخالق جل وعلا وبتعليم

الخالق يشرّع الرسول الأعظم صل الله عليه وآله.

٢٤.التوحيد في الحاكمية

الحكـم لله ولا حكم لغيرالله إلا بإذنه، ومن مثّل حكمه حكم الله عزوجل، وقد قال جل وعلا في حق حبيبه صل الله عليه وآله – فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم – وحكمه صل الله عليه وآله من حاكمية الملك الحق والله هو الحاكم أولاَ ولا حكم إلا بأمره سبحانه وتعالى، وكذلك حاكمية أهل البيت، وحكم أهل البيت عليهم السـلام فإنه من حكم الله وبإذن الله عزوجل.

٢٥.التوحيد في البيعة

البيعة لا تكون إلا لله عزوجـل، أو من تمثّل يده يد الله تبارك وتعالى، وقد قال تبارك وتعالى في كتابـه الكريم (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَـا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)[١٧] فلا تبايع يداً إلا إذا كانت تمثل يد الله عزوجل.

٢٦.التوحيد في المودة

إن العاقل يدرك أن المودة لله حق، والله تعود له كل نعمة، وأن الله الـذي وجبت طاعته عقلا هو الـذي وجبت مودته عقلاً، والنفس مفطورة على حب الكمال وبغض النقص، والكامل الذي يعود إليه الكمال هو الله تبارك وتعالى، ومن هنا تدرك وجوب مودة الكامل عقلاً وفطرة وهكذا يصل القلب إلى الله تبارك وتعالى، فالمودة أولاَ لله عز

١٧ الفتح : ١٠

وجل، والله سبحانه قد جعل مودته في مودة أحبائه، فمن أحبهم فقد أحب الله عز وجل (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)[18] أي المودة لله عز وجل في القربى وآل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

٢٧. التوحيد في الهداية

الذي خلقني هو الذي هداني إلى طريق حياتي، وهو الذي يهديني إلى صراطي المستقيم، والذي خلقني هو يهديني، وقد قال تبارك وتعالى عن الذين تمت هدايتهم (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ)[19] وقد قال جل وعلا على لسان المؤمنين (وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ)[20].

الواقعية في أقسام التوحيد

عندما وقفت أمام هذه القسمة للتوحيد، وجدتها ترجع كلها إلى التوحيد الكامل لله سبحانه وتعالى المنزه عن كل نقص، فإن كمال التوحيد ينفي الشريك وينفي الولد، وينفي صفات المخلوقين، والتوحيد الكامل يدعوك إلى التوحيد في الحمد والتوحيد في التوكل والتوحيد في التسبيح والتوحيد في الصبر وإلى غير ذلك من تلك الأقسام التي ذكرناها، فإنها كلها ترجع إلى هذا الرب الكامل المنزه عن كل نقص سبحانه وتعالى

١٨ الشورى : ٢٣
١٩ الأنعام:٩٠
٢٠ الأعراف:٤٣

العدل

وقد لمسنا في التوحيد وأقسامه وعلمنا أن الله هو الكامل المنزه عن كل نقص وأنه هو أحكم الحاكمين وأن الله سبحانه وتعالى هو الغني عن العالمين، وإذا علمنا ذلك رأينا العدل الإلهي الذي لا يحتاج إلى دليل بعد التوحيد الكامل، فإن الموحد الكامل لا يتوهّم خالقه ولا يرضا بنسبة الظلم إليه، لأن الذي يحتاج إلى الظلم هو الضعيف، والذي يحتاج إلى الظلم هو الفقير، والذي يحتاج إلى الظلم هو الناقص، والله العظيم الخالق هو الغني وهو الذي يستعين به كل شيء، وهو الذي يستغني به كل شيء ولا يُغني عنه شيء، والله سبحانه هو أحكم الحاكمين، فإذا كان الحاكم من المخلوقين الحاكم الكامل لا يرضا بظلمٍ، فكيف بأحكم الحاكمين، سبحانه وتعالى، وقد جمع التوحيد والعدل كلام أمير المؤمنين في كلام قليل، وهو كثير في رتبته، فقال عليه السلام - التوحيد أن لا تتوهمه، والعدل أن لا تتهمه. ومن وقف أمام التوحيد وعلم أن ربه هو الكامل المطلق علم أن من أهم آثار الكمال هو العدل وأن قول من أجاز عليه ما أجاز لأنه لا يسأل عما يفعل فهذا رد على نفسه فإنه سبحانه وتعالى لما أن كان هو الكامل ومصدر الكمال ولذلك لا يسئل وإنما يسأل الناقص وكفى.




الحسن والقبح والعقليان

والعقل الذي يدرك حسن العدل وقبح الظلم وإن لا يحيط بمصاديقه بعجزه عن الوصول إلى ملكاته فإن هذا العقل يدرك وجوب طاعة المولى جل وعلا وجوبًا نابعا من وجوب شكر المنعم وإن هذا العقل الذي ينزه مخلوقيه يرى كمالهم ينزههم عن الظلم فكيف لا ينزه المولى سبحانه وكيف يرضى عليه الظلم.

النبوّة

النبوّة تحت عناوين

النبوة في العقل: وإن إنساناً عاقلاً يعلم أن الخالق كامل ومنزه عن كل نقص لا يرضى له أن يخلق الخلق وهو العالم بنقصهم فيتركهم ولا يرسل إليهم رسل يكونون لهم قدوة ويحلّون مشاكلهم ويعلمونهم عبادته التي أدركوا وجوبها في توحيده في العبادة كما تقدّم، والأمر الذي تقتضيه الواقعية النابعة من الفطرة والخلقة، وأن ربنا هو الكامل المنزه عن كل نقص لا بد وأن يكون قد أرسل رسل وما ترك العباد ضائعين، وإن هذه الأمم التي مضت لم تخلو من مربّين موجهّين لهذه الإنسانية، وهذا أمر يقتضيه الواقع، وتدركه فطرة العقل.



النبوّة في التاريخ: وإذا كان لا بد من وجود أنبياء ورسل ومبشرين ومنذرين ومقوّمين لحياة الناس، وهذا ما يقتضيه العقل، ولكن السؤال كيف نثبت وقوع هذا؟ ماهو الطريق؟ وهل عندنا تاريخ يثبت ذلك؟ والجواب الموجز، إذا كنا لا نستطيع أن نقرأ هذا في تاريخ الإنسان، فكيف نستطيع أن نقرأ ذلك في ما قبل التاريخ؟ فإننا نجد أمامنا الكتب السماوية، فهذه التوراة، وهذا هو الإنجيل، ولكن أصحاب الديانات السماوية يعترفون بوجود أنبياء، وهذا موسى عليه السلام وهذا كتاب التوراة، وهذا عيسى عليه السلام وهذا هو الإنجيل، فإنها مهما حرّفت فإن فيها ما يدل على هذا الأمر، والمهم أن التاريخ ليس دليلاَ، ولكننا مع هذا بإمكاننا أن ننطلق من قاعدة الاحتمال ونأخذ كثيراَ مع الحقائق، من التوراة والإنجيل، وهناك بعض التاريخ، وإن كان نادراَ، موجود عند البعض من الناس ممن تكلموا عن الأنبياء.

الوثيقـة القرآنيـة للنبوة: ولكــن التاريـخ الأهم الـذي يعطي اليقـين، هو الذي جـاء في معجزة محمد صلى الله عليـه وآله، وهذا هو القرآن الـكريم، فقد تحدّث عن الأنبياء من آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبيـاء صل الله عليه وآله، فاقرءوا القرآن فإن فيه أحسـن القصص، وتحدث عن الأنبياء ودعوتهم وحكمتهم ومعاجزهم، ويصل إلى هذه الحقيقة حتى من لا يعتقد بالنبوّة، فإن من قرأ معاني القرآن وإخبارات القرآن الـكريم يجدهـا إخبارات واقعيـة، ويجده حديث عن إنســان تعـددت مصاديقه، وهذه المصاديق هم الأنبياء وكيف نراهم قد دعوا إلى الله وصبروا وتحمّلوا، وكيف كانت كيفيـة دعوتهم فإن من مجموع ذلـك يصل العاقل إلى اليقين حتى وإن كان غير معترف بالقرآن كمعجزة ولكنه لا يمكن أن ينكر هذه الحقائق التي عرضها القرآن عرضاً واقعياً.

مِلاك النبوّة:

نقول بعد أن عرفت النبوة وأن الانســان ناقص فلابد من وجود المـربي، وقد تقول أن هناك أمم لـم يمض فيها أنبياء، وهنالك فترات بين موسى وعيسى عليهم السلام، وكذلك الفترة بين عيسى ومحمد عليهم السلام، ويمكن الإجابة على ذلك بأمور، الأول أننا لا نعلم فلعل هنالك أنبياء وقد قال القرآن الكريم في خطاب النبي صلى الله عليه وآله (مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ)[21] والثاني مقتضى مِلاك النبوة، وهذا المِلاك الذي جاء يعلل النبوة باعتبار نقص الانسان، وأن الناس يحتاجون إلى من يربيهم ويصلح دنياهم وآخرتهم، فـلا يمكن أن تخلو الفترة من نذير، وهذا يقتضي أنه لابد وأن يكون في تلك الفترات أوصياء وحفظة لدعوة الأنبياء، وهم أمناء الرسل.

٢١ غافر:٧٨

أمناء الرسل

ولما علمنا أن الحاجة إلى الأنبياء والرسل عليهم السلام حاجة واقعية فطرية، نابعة من نقص الإنسانية وحاجتها إلى المؤدب والمنظم لحياتها، لمّا عرفت ذلك أدركت ضرورة وجود حفظة لدعوة الأنبياء، يبلغون رسالتهم وينذرون العباد ويعرّفون مقام الأنبياء، وهؤلاء هم الأوصياء، ولإن خلت أمة من رسول فلم تخلُ من نذير (وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)[22] أي مضى فيها نذير، ولله الحجة البالغة والواصلة للعباد، كما قال سبحانه وتعالى، فجاء الأنبياء والأوصياء في هذه الفترات حتى ختمت بخاتم النبيين صلى الله عليه وآله.

سيّد المرسلين

جاء خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله إلى أمة أشد الناس عصبية، وهم في البلد الحرام، جاء سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله، وهو نور في أسرته المشرقة، وهو نور في كرمه، ونور في معدنه، ونور في نباته، ونور في آدابه، وأنت تعلم أن العرب وإن كانوا يعبدون الأصنام، فإنهم يملكون آداب وأخلاق معروفة، مميزة في التاريخ، فجاء سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، جاء بآداب فوق آدابهم، وجاء بأخلاقِ تتمم الأخلاق، وقد عرفوه بالصادق الأمين، فقد عاش فيهم أربعين سنة لم يكن يتكلم ولم يكن يدّعي شيئاً، ولم يبلّغ عن السماء، ولكن قد بلغت شخصيته اللامعة وحلمه ووقاره وكرمه، وقد رأت فيه تلك الأمة وحيد الدهر قبل أن يعلن شيئاً صلي الله عليه وآله، وكفى مدح رب العالمين، وقوله جل وعلا (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[23].

---

٢٢ فاطر: ٢٤
٢٣ القلم: ٤





الإمامة في ملاكها ومصداقها

لا أريد أن أكون عجولاً في طرح ما تقتضيه الواقعية الفطرية التي يرتكز عليها البحث، وقد مضى عليك أنه ليس هناك زمان يخلو من نذير، وأنه لابد من مربٍ للإنسـان، ولابد من نبي أو نذير، لأن الإنسان ناقص فلابد من إنسان كامل يقوّم هذه الإنسانية ويؤدبها ويدعوها إلى عبادة الله عـز وجل، وينظم حياتها، وبذلك تتحقق سـعادة الدنيـا والآخرة، وأن هذا النبي والرسـول هو سيّد المرسلين وخاتم النبيين، فلابد له من أوصيـاء يمثّلونه، ويحفظون رسـالته ويهدون إلى هديه، وإن قلت لك أن أمنـاؤه هم آله المتمثلـون في أهل بيته الذين هم إبن عمه علي إبن ابي طالب عليه السلام، وبضعته فاطمة الزهراء عليها السلام، وأبناؤهم الأحد عشـر، إنني لا أكره أحداً على هذا، ولكـن الواقع والفطرة تثبت ذلك، فما على المنصف إلا أن يقرأ الأطروحات، اطروحات المسلمين في هذا الأمر، ولكـنّي أدعو كل عاقل وأدعو كل مسلم بالخصوص أدعـو نفسي بأن نكون منصفين في مقام الاختلاف، فإن الإنصاف هو الذي يرفع الخلاف ويوجب الائتلاف، فلابد من تحديد أمرٍ ناشئ من الخلـوص إلى الله عـز وجل، فإننـا مسـؤولون أمام الله تبارك وتعالى، فلابد لنا من الوقوف أمام من يتحمّل مسؤولية الأمة بعد خاتم النبيين صل الله عليه وآله، فمن يتحمّلها هذه الأمانة الكبرى للإنسانية إلى يوم القيامة، إنها حفظ استقامة الأمة والإنسانية إلى يوم المعاد، ولا نبي بعد هـذا النبي العظيم صل الله عليه وآله، فهل ترك النبي هذا الأمر للأمة نفسها، وهل هي في مستوى المسؤولية، أو أنه حدد لها الأمناء، والأمناء قد رأى الناس صدقهم ورأوا حياتهم حياة القرآن، وحياتهم وسـريرتهم




سريرة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهنا اختلفت المدارس، ولكل مدرسة رأي ودليل، ولابد من اختيار المدرسة التي يختارها الدليل، ولابد أن تتسع صدورنا للاختلاف العلمي، وأن نعرض حوارًا معبرًا عن حب المسلمين، والحرص على هدايتهم واستقامتهم وسعادتهم التي هي سعادة الانسانية جميعاً، لأن الدين الإسلامي هو الدين الإنساني (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ) [24] فهو الرسول إلى الناس، ولابد وأن يختار الإنسان طريقه عن دليل وبرهان، وأن يعرف حملت هذه الأمانة، وأن ينظر إلى الواقع واقع الحياة تشهد لمن؟ والمدرسة التي تنتهي إلى أهل البيت، تدّعي أن أمناء النبي صلى الله عليه وآله، هم عترته الذين شهد القرآن في حقهم وشهد الرسول الأعظم صل الله عليه وآله، وشهدت حياتهم في حقهم من أوّلهم إلى آخرهم، فإن كل واحد منهم له حياة تقرأه فيها فهذا علي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة من ذريتهم عليهم السلام، رأى الناس فيهم أنهم هم الأمناء وأهل هذه الأمانة من أولهم إلى خاتمهم عليهم السلام، والمهم أن الإنسان المسلم المسلّم أمره لله عز وجل منصف ويختار المدرسة والطريق لله عز وجل، وقد وضع الآخرة أمامه وبهذا الإنصاف يُرفع الخلاف وبه يتحقق الإئتلاف، فلابد من التعاون على البر والتقوى والتعاون على سلوك الصراط المستقيم، ومعرفة أهله وأن أولى الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعرفهم بقول الله فيه وهذا هو الحل الواقع النابع من الفطرة والخلقة فإن الإنسان فطر على الخلق الحسن والإنصاف والتوحيد الخالص وحب الله الذي يجعله يختار الصراط المستقيم (وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) [25] وقد فصّلت الآيات لأهلها وقد عرفت ملاك الامامة وأدركت وحدة الملاكين و أنه لابد للبشرية من إنسان كامل في

---

٢٤ سبأ:٢٨

٢٥ الأنعام:١٢٦

كل زمان ورأيت المصداق في سيد المرسلين وآله الميامين عليهم السلام أجمعين اللذين كانوا قادة العباد بنفوسهم الكاملة وحياتهم المشرقة.

الغاية من الرسل والأنبياء

كان الناس أمة واحدة، فانتشروا في الأرض وتفرّقوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وقد جاء الإنذار على يد الأنبياء والأمناء عليهم السلام، حتى تعود الناس أمة واحدة كما كانوا أمة واحدة، والمسلمون جميعًا يعتقدون بالمهدي عليه السلام وإن اختلفوا في الولادة فما اختلفوا أن هناك رجل من آل رسول الله صلى الله عليه وآله يخرج في آخر الزمان ويصلّي وراءه عيسى ابن مريم عليه السلام وهذا الرجل اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وآله، وكنيته كنية رسول الله صلى الله عليه وآله، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا، وهي ثمرة الرسل والأمناء عليهم السلام، وثمرة خاتم المرسلين وأمنائه الصادقين عليهم السلام، فما بعث الأنبياء إلا لأجل جمع كلمة البشر وجعلهم أمة واحدة، ولا أستعجل النتيجة وبهذا نصل إلى نهاية الشوط والاعتراف بالمصلح الخاتم والمهدي عليه السلام.

خاتم الأمناء

وأنت إذا وقفت أمام المهدي عليه السلام المبشّر به، تجد أمامك نظريتين، النظرية التي تقول أنه سيولد، والنظرية التي تقول أنه وُلِد، وضَع الاحتمالين أمامك احتمال عدم الولادة ومجهولية النسب، والرأي الذي يقول بالولادة ووضوح النسب وأنه من آل رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن آباؤه الأحد عشر الأئمة عليهم السلام أولهم

علي ابن أبي طالب وآخرهم حسن العسكري عليهم السلام، فهو مشرق النسب ومشرق التاريخ والماضي، وبهذا الطرح يعرف العاقل كيف يحمل هذا الرجل رسالة رسول الله صل الله عليه وآله ويمثّل أخلاقه التي هي أخلاق القرآن وشخصيته التي تتهيأ لها الظروف من ماضي آبائه الذين عرف المسلمون صدقهم، وهو الذي يأخذ العالم أخذًا ناشئًا من كمال انتمائه إلى سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله.

وأما النظرية الأخرى تحتاج في مقام وعلم الثبوت إلى إيضاح المقدمات التي تجعل المصلح في هذا الموقع الكبير، فكيف يثبت النسب للعالم؟ وكيف يتلقى هذا العلم الذي به يسود البشرية؟ ويحقق آمال الأنبياء؟ وأي بيئة ربته وأعدته لهذا اليوم؟ فكل هذه الأسئلة تحتاج إلى جواب، والنظريتان أمامك، نظرية قالت بعد لم يولد فمتى تثبت الولادة؟ ومتى يثبت الانتساب؟ وكيف يتعقل العلم والكمال؟ والنظرية الأخرى الواضحة التي تعرفك بإشراق النسب وتمام الأدب والماضي المشرق المهيء له، أنت الذي تحكم بإنصافك وعقلك.






المعاد

المعاد في أقسام البحث فيه، والبحث في المعاد من جهات متعددة، وهي حقيقته، إمكانه، أهميته، ضرورته، زرع اليقين به.

حقيقة المعاد

المعـاد يعـني أن الله عـز وجل يجمـع الخلق بعد الموت ذلك يوم الجمـع، وبعـد أن تنتهـي فترة الـبرزخ وينتهي عمـر الدنيا فتـأتي نفخة الصـور نفخة الإماتـة ونفخة الإحياء التي تجمع الموتى جميعًا في محشـر واحـد ويا له من يوم مهول، يوم وصفه الله عز وجل - تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حملٍ حملها وترى الناس سـكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شـديد- وربنا هو المغيث في ذلك اليـوم، وهو أرحم الراحمـين، والمعاد حياة بعد المـوت، ويوم الحياة بعد الموت واليوم الطويل بعد النوم الطويل بعد التراب.

إمكان المعاد

بعـد أن وقفت على حقيقتـه وأنه عـودة الحياة بعد الموت فإن هذه الحقيقة إذا عرفتها وصلت إلى إمكان المعاد، والمثال أمامك أرضٌ خضراء تصفّرُ وتموت ثم تعـود خضرتها، فإن الـذي أحياها هو محيي الموتى، وضرب لنا مثلًا وأخذ يبالغ في الاعتراض (قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ)[٢٦] فقال بلغة الواقع وبلغة الفطرة (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)[٢٧] وكم عجبت ممن ينكر النشـأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى.

٢٦ يس : ٧٨
٢٧ يس:٧٩

زرع اليقين بالمعاد

يزرع اليقين بالمعاد بطرق متعددة من أهمها أمرين

الأول الزرع العقلي

وذلك أنك إذا رأيت صدق الأنبياء (عليهم السلام) في إخبارهم ووقوع ما أخبروا وقد رأيت ما أخبر به سيد المرسلين الرسول الأكر (صل الله عليه وآله) ورأيت صدقه وأن الكل عرفه الصادق الأمين وكذلك صدق آله عليهم السلام في كل إخبارهم وإذا رأيت هذا الصدق وتأملت وصلت إلى نتيجة وقلت إذا كان هذا صدق المخلوق الذي هو عدم أمام الخالق ولا نسبة بينه وبينها إذ لا نسبة بين الممكن والواجب ، فإذا كان هذا صدق المخلوق الذي هو عدم أمام خالقه فكيف بصدق الخالق تبارك وتعالى الذي كم أخبر عن المعاد في كتبه وفي القرآن الكريم وكفى أنك إذا صدقت صاحب الدرجة السابعة من الإيمان فأولى أن تصدق صاحب الدرجة التاسعة مع وجود النسبة بينهما فأولى أن تصدق الخالق الذي لانسبة بينه وبين المخلوق.

الثاني الزرع الروحي

وكما زرعت المعاد في تفكرك ومقارنتك ورأيت لا مقارنة بين المخلوق والخالق فكذلك تزرع اليقين بالمعاد بكثرة ذكر الله عز وجل، فإن الذكر جلاء للقلوب، وكشف للكثير من أمور الغيب، وإن الله قد جعل الذكر جلاء للقلوب، تبصر به بعد الغشوة، وتسمع به بعد الوقرة، وتنقاد به بعد المعاندة، وتعذّب بالمعاد بكثرة ذكر الله

في الخلوات، وتعذّب بالمعاد بكثرة التلاوة للقرآن، واعلم أن اليقين خطرات، وأكثرمن الجلوس مع من تذكرك بالله طلعتهم، وتريك وجوههم أنوار حب أوليائه، وأكثرمن التسبيح والإستغفار والصلاة على محمد وآل محمد، وتأمّل في آيات الله في خلقه، فإنها توصل إلى اليقين، وتأمّل في قوله تبارك وتعالى (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ)[28] وفق هذا الطريق البيّن وقد بيّنه رب العالمين أن تكثرمن النظر في آيات الله في خلقه وفي نفسك وفي كل شيء، فإن في كل شيء له آية تدل على عظمته وحكمته وحكمه وجلاله وجماله، وأنه من أهم مايزرع اليقين بالمعاد أن تقبل على ربك في صلاتك فإن هذه العبادة هي أعظم وفادة على الله عز وجل، وما أكثرما يزرع اليقين بالمعاد عند المؤمنين ولكن الكثيرفي غفلة.



أهمية المعاد

إن الإنسان الذي يضع المعاد أمامه، إنه يذكر الحساب ويحاسب نفسه في كل شيء، وبهذا تسلم له عقيدته ويسلم له دينه فإنا في هذه الدنيا مغترفون، ولكن من كان هواه هوى صاحبه وجانب دينه فهو معه حيث كان والآخرة هي دار القرار، فبالمعاد يحفظ الدين، ويأخذه من منابعه، وبالمعاد وذكر المعاد تهون اللذات فيذكر العبد انقطاع اللذات وبقاء التبعات، وبالمعاد حياة الضميروحياة النفس اللوامة، التي هي حكم عليك يوم القيامة، فطوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب، وقنع بالكفاف، ورضي عن الله.

٢٨ الرعد:٢



ضرورة المعاد

فإن العاقل الذي قد علم أن الله سبحانه وتعالى منزه عن كل نقص، وأنه أحكم الحاكمين ولا أحكم منه ولا أعدل منه، فلابد وأن يعطي كل ذي حق حقه، وها أنت ترى الحكم المنصف من العباد لابد وأن يعطي كل ذي حق حقه ولا يستوي عنده المحسن والمسيء، وهذا ما تراه أنت أيها العاقل مع أولادك، فهل تجعل الولد المطيع المعترف بالأبوّة في درجة الولد المتمرد؟ وإذا كنت لا ترضى هذا لنفسك فكيف ترضاه لربك تبارك وتعالى وهو أحكم الحاكمين؟ وقد قال (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ)[٢٩].

زرع اليقين بالمعاد

إزرع اليقين بالمعاد بكثرة ذكر الله عز وجل، فإن الذكر جلاء للقلوب، وكشف للكثير من أمور الغيب، وإن الله قد جعل الذكر جلاء للقلوب، تبصر به بعد الغشوة، وتسمع به بعد الوقرة، وتنقاد به بعد المعاندة، وتعذّب بالمعاد بكثرة ذكر الله في الخلوات، وتعذّب بالمعاد بكثرة التلاوة للقرآن، واعلم أن اليقين خطرات، وأكثر من الجلوس مع من تذكرك بالله طلعتهم، وتريك وجوههم أنوار حب أوليائه، وأكثر من التسبيح والاستغفار والصلاة على محمد وآل محمد، وتأمّل في آيات الله في خلقه، فإنها توصل إلى اليقين، وتأمّل في قوله تبارك وتعالى (دَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ)[٣٠] وفق هذا الطريق البيّن وقد بيّنه رب العالمين أن تكثر من النظر في آيات الله في خلقه وفي نفسك وفي كل شيء، فإن في كل شيء له آية تدل على عظمته وحكمته وحكمه وجلاله وجماله، وأنه من أهم مايزرع اليقين بالمعاد أن تقبل على ربك

---

٢٩ القلم:٣٥

٣٠ الرعد:٢

في صلاتك فإن هذه العبادة هي أعظم وفادة على الله عز وجل، وما أكثر ما يزرع اليقين بالمعاد عند المؤمنين ولكن الكثير في غفلة.

الترابط الطولي في أمور المعاد

وجدت نفسك وقفت أمام المعاد في حقيقته، فرأيته يقظة بعد نوم طويل وبهذا سهل عليك إمكانه، وبعد أن رأيت إمكانه لمست أهميته في الاستقامة وصنع الفرد المستقيم في علمه وعمله، وبعد أن لمست فائدته وأهميته رأيت ضرورته، فإن الله هو الكامل، فلو لم يكن هناك معاد وإعطاء كل ذي حق حقه كان ذلك عبثا، وهذا لا يصدر من مخلوق فكيف يكون من خالق جل وعلا، وهكذا تتم أمامك تعقّل المعاد، وبعد هذا زرعت اليقين في ذلك بالتعلّق بالله عز وجل وبأوليائه المذكرين به ومن ذكرهم من ذكر الله، ومحبتهم من محبته، فعمّر قلبك باليقين وصلّ على أوليائه وأحبته.



صنائع المعاد

وبعد أن وصلت إلى المعاد في حقيقته وإمكانه وأهميته وضرورته وزرع اليقين به والترابط الطولي بين أموره التي ذكرناها، فإنك بعد هذا تحتاج إلى الوقوف أمام صنائع المعاد، فإن صنائع الغفلة عن المعاد كثيرون، وقد قال جلّ وعلا عنهم (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ)[٣١] وتأتيهم الآيات ولكنهم في لهو واشتغال بالأمل والذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر لقليل، وما أكثر من قال الله فيهم وهم غالب الناس (وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي

٣١ الانبياء:١

خُسْرٍ)[٣٢] إنهم مغمّرون بالخسـر، ومالهم وذلك، وإنه لامتحان عظيم قلّ ذاكره، ولكـنّ الله قد هـيئ صنائع لذكر يوم لقائه، فكونوا حجة علـى العباد، وهم الذين ينذرونهم يـوم القيامة، وها أنت ترى الأنبياء والأوصياء وترى حياة سـيّد المرسلين صلى الله عليه وآله، وقد وصـف الله الذين معه (تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا)[٣٣] واقـرأ في حياة الذين عاشـوا مع هذا النبي العظيـم وقد تمّت معيّتهم، وهم الذين هم عيش العلم وموت الجهـل في كل مكان، ومن صفاتهم أنهم هم العلماء وقد أرسـل الرسـائل إلى الجاهل، وكم يخبره حلمهم عن علمهـم وصمتهم عن حكم منطقهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه وهم الأمناء والحفظة للرسـالة والمبلغون عن الرسل والمبلغون عن خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله.

المعاد بين الأصول الخمسة

جاءت في هذا مدرسـتنا، مدرسـة تعتبر الإيمان بالمعـاد يأتي بعد التوحيـد فإن العبـد بعد إيمانـه بالخالق وأنه واحد أحد لا شـريك له وقد خلق الخلق فلا يمكن أن يكون هذا الكون بمافيـه عبثا فلابد من يومٍ يحاسـب فيه العباد وقد قال جل وعلا (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ)[٣٤] ولذلك يكـون المعاد والأصل الثاني بعد التوحيد ومدرسـة أخرى تنظر إلى المعاد وتراه الأصل الخامس فإن الله الذي خلق الخلق وجاء بالرسل والنذر لابد وأن يجازِ العباد على أعمالهم وألا يكون كل ذلك عبثا وإن كل موقع للمعاد يعرف بعظمته فالمعاد بعد التوحيد يحدد المسـار إلى الآخرة ومعرفة فريق النجـاة والمعاد في الختام هو نفسـه الـذي يحفظ للإنسـان عقيدته واسـتقامته، تقـدم أم تأخر فطوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الرب.

٣٢ العصر: ١-٢
٣٣ الفتح: ٢٩
٣٤ المؤمنون: ١١٦

مرآة الأمناء

بعد ذكر الأمناء، أمناء حامل الرسالة وهم المعصومون عليهم السلام، يأتي ذكر مرآة الأمناء وهم أوضح مصداق فيهم يتمثّل في سفراء الإمام المهدي عليه السلام، الذين هم يمثلون المرآة التامة للمعصوم، يتميّزون عن باقي الناس بهذه المرآتية وبهذه الإمكانات التي أعطوا إياها ببركة الإمام الحق، وهم السفراء الأربعة، وبعد السفراء يأتي الفقهاء، والفرق بين السفراء والفقهاء أن السفراء نوّاب خاصّون قضيتهم تمثّل قضية خارجية، والإمام يحدد المصداق، أما الفقهاء هم الذين يحملون هذه الأمانة، ولا يحددون بذكر أسماءهم والإشارة إلى أشخاصهم وإنما يذكرون على سبيل القضية الخارجية والقضية الوصفية، وهؤلاء الذين هم صنائع المعاد الذين تنطبق عليهم الصفات التي ذكرها أهل البيت، وقالوا عنهم - أما من كان من الفقهاء صائنٌ لنفسه حافظ لدينه مخالف لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه، فإن الأمناء والأوصياء هم الدرجة الأولى من مدرسة المعاد، والدرجة الأولى من الرتبة الكبرى بعد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله الميامين. ثم تأتي المرآة التامة لأمناء الأمناء وهم السفراء، ثم يأتي الفقهاء المتعلمون على سبيل النجاة، ويأتي الحديث عن العلماء وعلمهم في مقام آخر إن شاء الله عز وجل.

ترابط الأصول

وبعد أن وقفت أمام أصول الدين ورأيت الواقعية فيها فإن التوحيد يدعو للعدل، والعدل يدعو للإيمان بالرسل والأمناء، وهذه

الأصول تدعو إلى المعاد، وقد رأيت بعد هذا أنها كلّها تمثّل في ترابطها نور تام، ولا يتم هذا النور إلا بالكل، فإنّ أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، ولا يتم توحيده إلا بالعدل، وتنزيهه عن كل نقص، ولا يتم هذا التنزيه إلا بالإيمان بالرسل والأمناء، ولا تتم كل هذه إلا بالإيمان بالمعاد، وهكذا ترى أن كل واحدٍ من هذه الأصول يدعو إلى الكل.

الترابط بين الفروع والأصول

الأصول العقائد تدعو العبد إلى عبادة الله عز وجل، فإن أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، والإخلاص أمرٌ نفسي، فخلوص هذا العمل هو بعده عن الرياء، ووجوب الإخلاص في العبادة المتمثّلة في الصلاة والزكاة والصوم والحج والاعتكاف والجهاد وكل عملٍ يشترط في صحته خالص القربة وخلوص النية لله عز وجل، إن هذه الفروع والخلوص فيها يأتي على قدر الأصل وهو التوحيد، فتوحيد العقل يحث النفس على الخلوص في هذا الفرع، وهو الصلاة والزكاة مثلاً، والخلوص في هذه العبادة يقوّي الأصل، فالأصل يعطي الفرع، والفرع يعطي الأصل، وبتعبير آخر أن العقيدة تعطي العمل، والعمل يعطي العقيدة، فالفروع تعطي كمالاً في الأصول، والأصول تعطي دفعاً للإلتزام بالفروع، وهذه العقيدة تعطي العمل، والعمل يعطي العقيدة فالإيمان تطهير من الشرك، والذي هو الأصل، وتمام هذا التطهير بالفرع وهو الصلاة التي هي تنزيه عن الكبر، والصدقة تجعل العبد يحتسب الأجر على الله عز وجل، ويعطيه ازدياد في اليقين بالقيامة،



والإيمان بالقيامة يعطي دفعاً للعمل لأجل الأجر العظيم الباقي.

الترابط بين الفروع نفسها

فإن الصلاة تدعو إلى الزكاة والصوم والحج والجهاد، وكل فرع عبادي يشجع ويدفع إلى الفرع الآخر، فالصلاة تدعو إلى الجهاد، والجهاد لأجل إقامة الصلاة، وإذا وقفنا أمام الشريعة وقسمناها نجد أن كلًّا يقسّمها حسب نظرته، وقد أعجبني تقسيم بعض الأساتذة أن قسم الأحكام الشرعية إلى قسمين، السلوك الخاص والسلوك العام، وأن السلوك الخاص يتمثّل في كل عمل لا يصحّ إلا بصدق النية مع الله عز وجل، وقصد التقرّب إليه، وهو السلوك الخاص الذي يصنع الفرد المستقيم ويصلح سريرته، فالعبادات تهذّب النفس في واقعها وعلاقتها بين العبد وربّه. وأما القسم الثاني فهو ينظم الحياة وبخلافه ما بقي من أحكام فإنها تنظم السلوك العام في التجارة بأقسامها وما يحلّ أكله وما يحرم، ونظام الزواج والطلاق والميراث والعقوبات والديات والقصاص وكل الأحكام غير العبادات، فإنها تحفظ النظام والسلوك العام كما هو عند بعض الأساتذة والمهم أننا نجد الفروع في الشريعة مترابطة تحفظ الفرد والمجتمع وهكذا نعالج الواقعية في الأحكام وتكاملها و واقعية الدين، وأنه فطرة الله التي فطر الناس عليها.

الواقعية في الشريعة

إذا نظرت إلى الأحكام الشرعية من طهارتها إلى دياتها تجدها أحكاماً تذكر الإنسان ذكرًا كاملًا ولا ترجّح جانبًا على جانب، فإذا كانت بعض الشرائع أو الأطروحات تهمّها الروح فتعذّب الجسد من أجل

الروح، وأطروحات أخرى يهمها الجسد وتحوّل البشر إلى حيوان هائج وتوسع له عنان الشهوة وتتركه مع غريزته فإن شريعة الله أعطت كل جزء من أجزاء الإنسان حقّه فللعقل حقّه وللروح حقّها وللنفس حقّها، والشريعة قد ذكرتك أيها الإنسان وكيف تنساك أو تنسى جهة من حياتك؟ وهي شريعة الله الذي خلقك والإله الحق الذي لا يعرف الهوى ودينه الحق (وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ)[٣٥] فانظر إلى الأحكام الإلهية فإنك تراها أحكامًا في حدود طاقة الإنسان وسعة تحمّله فاقرأ العبادات من صلاة وصوم وزكاة وخمس وجهاد وكلها قوام قومها عنصر التقرب، وأنها عباداتك التي تربطك بربك وتنقلك من درجة إلى درجة ومن مرحلة إلى مرحلة، وكما أنها واقعية في مقام التربية والتقوية للفرد والمجتمع تجدها شاملة إلى شتى جهات حياتك، فهي شاملة للجانب الروحي والاقتصادي والاجتماعي والأسري وأحوال العلاقات الجنسية والأمور الجنائية ولنا وقفة أخرى أمام هذا بالتفصيل.

الواقعية في المنابع

هذه أحكام الله عز وجل وإذا كانت أحكام الله عز وجل فلا بد من اليقين من نسبتها إلى الله تبارك وتعالى وهذه الشريعة المشرقة في منابعها المتمثلة في القرآن والعترة التي تمثّل السنة الواقعية اللذان ركز عليهما تلميذ محمد صلى الله عليه وآله علي ابن أبي طالب عليه السلام (أما وصيّتي فالله لا تشركوا به شيئًا، ومحمد صلى الله عليه وآله فلا تضيّعوا سنته، أقيموا هذين العمودين وأوقدوا هذين

---

٣٥ المؤمنون: ٧١





المصباحين)[٣٦] وقد بيّن الرسول صلى الله عليه وآله قبله في حديث الثقلين المعروف، القرآن الكريم كما قالت البتول عليها السلام – كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، بيّنة بصائره، منكشفة سرائره، متجليّة ظواهره، مرتبط بأشياعه، قائدٌ إلى الرضوان أتباعه، مؤدٍ إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنوّرة وعزائمه المفسّرة ومحارمه المحذّرة، وبيّناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة،ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة، فالقرآن الكريم الذي هو كلام الله عز وجل، والنور الذي أنزل على الحبيب صلي الله عليه وآله، وهو الكتاب الذي أخرس ألسنة العرب وحيّر أئمة البلاغة، واحتوى على الحجج العجيبة في الأحكام الواقعية الباقية التي هي حل مشاكل الإنسان وطريق فطرته، وقد قال تلميذ محمد صلى الله عليه وآله في حقّه يدعو الناس إلى الارتباط به والإهتمام به، وإذ قال عليه السلام (وتعلّموا القرآن فإنه أحسن الحديث وتفقّهو فيه فإنه ربيع القلوب واستضيؤوا بنوره فإنه شفاء الصدور، وأحسِنوا تلاوته فإنه أنفع القصص – وقال عليه السلام – من استنصح الله وفّق، ومن اتخذ قوله دليلًا هديَ للتي هي أقوَم)[٣٧] وأنت ترى هذا الكتاب، تراه ثابتًا أمام كل التحديات رغم كثرة الماكرين وهذا هو القرآن، وأما غيره من الكتب فقد أصابها ما أصابها، فانظر إلى الإنجيل، وهاهو القرآن يتحدى ويبقى وقد تمّت كلمة ربّك في صدقها في كل زمان وستتم في عدلها وقيمومتها، والعاقبة للمتقين، والقرآن هو الثقل الأكبر.

٣٦ نهج البلاغة - خطب الإمام علي (ع) - ج ٢ - الصفحة ٣٣

٣٧ نهج البلاغة : ١٦٤ ، طبعة صبحي الصالح .



القرآن .. الحجة الباقية

وإذا علمت أنه الحجة الباقية، علمت أنه محفوظ لا يحرّف، ويكفي أن ترد على من يقول بذلك:

الأول: أن القرآن هو الميزان الأول لتحديد ماينسب إلى الله عز وجل، على لسان الرسول الأكرم وعترته عليهم السلام، وقد أمرونا بالعرض على الكتاب.

الثاني: أن أهل البيت عليهم السلام في زمانهم كانوا يحتجّون به أوّلًا، ثم بحديث جدهم صلى الله عليه وآله.





الثالث: أنه هو المعجزة الكبرى التي تعرّفنا بنبوّة خاتم المرسلين، وتعرفّنا بنبوّة الأنبياء كلّهم، فإذا حرّف فماذا بقي.

الرابع: أي وجه عقلي مقبول يرضا لجبّار السماوات والأرض أن يضيّع شريعة سيّد المرسلين ولا يحفظها، وهي الشريعة التي جاءت إلى الإنسانية إلى يوم القيامة.

الخامس: أن هذا المتكلم، حتى وإن جزم بالتحريف، فأي عقل يذعن له بإعلان هذا، وهو يعرف المتربصين والذين يريدون هدم الدين، وإنّ مؤمنًا بصيرًا عاقلًا لا يرضى أن يعلن هذا، بل يقول إن إعلان هذا حرام.

السادس: وعليك أن تتبع كلام علي أمير المؤمنين في قولهِ أقيموا هذين العمودين وأوقدوا هذين المصباحين، فالقرآن والسنة مصباحان مترابطان، والقرآن هو المصباح الأكبر فكيف يحرّف.

السنّة في أهميتها

كل إنســان موجه مرشــد تجد طريقه محفوظًا عند ألصق الناس بــه، ومـن هو حريــص على بيـان مريـدي صاحب هذا الطريــق والآن اسمعوا كلام تلميذه الأكبر، فاسمع مايقوله عليه الســلام في مقام التوجيه: (اقتدوا بهدي نبيّكم فإنه أفضل الهدى، واستنّوا بسنّته فإنها أهدى الســنن) وقال: (أن وصيتي فالله عز وجل لا تشركوا به شيئًا)، وقــال :(أقيموا هذيــن العمودين وأوقدوا هذيــن المصباحين) وقد مرّ هذا الكلام فتأمّل في تأكيده على الكتاب والسنة ورتبتهما وأنهما نور واحد يهدي إلى ســعادة الدنيا والآخرة. وقال عليه الســلام عن الســنّة أيضًا (اليمين والشــمال مضلّة والطريقة الوســطى هي الجادة عليها باقي الكتاب وآثار النبوّة ومنها منفذ السنّة وإليها مسير العاقبة).

السنة في أقسامها

سنة الصحابة المنتجبين (رض)

إنــك إذا وقفت أمام ســنة الصحابة تعني بذلك الذين عاشــوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله، والذين وصفهم كتاب الله تبارك وتعالى (تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُـجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْـلًا مِّـنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا)[٣٨] وأن الصحابة مهما ارتفعنا بهم لا يمكن أن يكونوا هم المنبع الأفضل المعتمد في الأخذ من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا مايقتضيه النصف، وماعليك إلا أن تقف معي أمام العترة وأهل بيته عليهم السلام وتنظر بنفسك.

٣٨ الفتح : ٢٩

سنة العترة عليهم السلام

والعترة الذين هم أهل بيته عليهم السلام هم الذين يمثلون المصداق الحقيقي لصحبته، وهم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وقد عرفت مقامهم وأن الذي جاء نذير لابد أن يكون قد أنذر أقرب الناس إليه، فالعالِم يربّي بيته قبل أن يربي الغريب، فكيف بسيّد المرسلين، وقد قال الجليل جل وعلا (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ)[39] فمن أقرب من فاطمة وبعلها وبنيها عليهم السلام ؟ وقد شملتهم الصحبة وزيادة، وهذا هو المنهج الواقعي لمعرفة أحوال كل عظيم فإنك تسأل أقرب الناس إليه وأحرصهم على تعاليمه، بعد هذا ندخل في الدور المشترك لأهل البيت عليهم السلام .

إقرأ بكل موضوعية حياة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وكيف بدأ الإسلام، فإنك تجد الشخصية التي تمثل الامتداد للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، هو علي ابن أبي طالب عليه السلام، الذي ربّاه رسول الله صل الله عليه وآله من صغره، ووضعه في حجره وهو ولد يضمه إلى صدره ويكنفه إلى فراشه، وكان يتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، وكل حياة الرسالة تشهد في حقه بأنه شريك رسول الله صلى الله عليه وآله، وها هو يصف حياة أهل البيت التي هي حياة الدين وحياة الرسالة ويذكر العنصر المشترك في حياتهم فيقول، هم عيش العلم وموت الجهل يخبركم حلمهم عن علمهم وصمتهم عن حكم منطقهم لا يخالفون الحق ولايختلفون فيه وهم دعائهم الإسلام وولائج الاعتصام بهم عاد الحق في نصابه وانزاح الباطل عن مقامه وانقطع لسانه من منبته، فقد شرح حياة الأئمة وأنهم في أدوارهم المختلفة هم الممهدون

---

٣٩ الشعراء :٢١٤

لعـود الحـق في نصابه على يد مهـدي هذه الأمة صلـى الله عليه وعلى آبائـه، وأنهـم ذرية بعضها من بعـض تحمل رسـالة واحدة وبهم تمت الكلمة في صدقها وتتم في عدلها على يد مهديهم عليه السـلام الذي أشـرق ماضيه بهم وأنت تقرأ ذلك في حيـاة أبيهم أمـير المؤمنين الذي جمع أدوارهم وهذا ماضيه المشـرق يشهد في حقه، ربّاه رسول الله صل الله عليه وآله وأطلعه على سـرّه وهو يتعبّد في حراء وكان أخطر شيء على قريش، ولمّا أعلن رسـول الله صلى الله عليه وآله دعوته كان أول دفاع وأول وزير وأول فادٍ له بنفسـه، ولما هاجر وجاهد وصارت تلك الوقائع من بدر إلى حنين، فإنك تجده أول مدافع عن رسـول الله صلى الله عليـه وآله وبقي معه إلى موته وهـو الذي جهّزه وهو صدر العزاء به صـل الله عليه وآله، فاقرأ حياته وهو تاريخ ظروفه فإنك تراه أحرص الناس على دين وأحرص الناس على أمة تريد أن تكون خير أمّة وتراه ماعتزل الأمة في أيـام الخلفاء، بل رأوه أعظم حصن ولما آلت إليه أقام الدين وحقق العدل وذكّر الناس بزمان رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنت تعرف سيّدة نساء العالمين التي هي أم أبيها وما رأت للحياة قيمة بعده، وأي مسلم يجهل فضلها وصحبتها لأبيها وتحمّل مشاق شعب أبي طالب وهي في سـن الرضاع، وعاشت مع أمها خمس سنين ومع أبيها بعد أمها ثلاثة عشـر سنة، ثلاثًا في مكة وعشرًا في المدينة، فاقرأ حياتها وتأمـل في دفاعها عـن علي، لا لأنه زوج بل لأنه يمثل القرآن والإسـلام. وهكذا تقرأ حياة علي ابن ابي طالب في خلافته التي لا تراها حكم شخص بل هو قرآن يحكم الأمة ويقوّمها، وأنت تراه كيف عامل من حارب وقد تمكّـن منه فكيف أكرمه من أجل رسـول الله صل الله عليه وآله، واقرأ ذلك في حرب الجمل وصفّين والنهروان، ورآه النـاس في حروبه وظفر




مثل ما كان رسـول الله صـل الله عليه وآله في يوم مكة، وختمت حياته بالشهادة في بيت الله عز وجل، وقام مقامه ابنه الحسن عليه السلام، فانقـاد له من انقاد إلى ابيـه، وهذا أمر يدلنا على وحدة شـخصية أهل البيت عليهم السلام وأنهم خصائص واحدة، وما حاربه إلا من حارب أباه من قبل حتى اضطره الأمر إلى الصلح فما همه كرسي، فصالح لأجل حفـظ الدين وحفظ المسـلمين وجـاء بعده أخيه أبي عبدالله الحسـين عليـه السـلام، بعد مضي عشـر في عهـد معاويـة الذي ضيّع شـروط الصلـح وقد وجعل الأمر ليزيد مع أن الشـرط مأخـوذ عليه أن لا ينص على أحد بعده، وأن الأمر للحسـين عليه السلام، فجاء تـكليـف آخر بعد بيعة يزيد، لأن يزيد لم يحفظ للدين شـيئًا ومشروعه كفر وإلحاد، فحفظ سيّد الشهداء عليه السلام هذا الدين برفضه لبيعة يزيد مهما كان الثمن حتى كانت المصيبة العظمى التي صار فيها دم الحسين عليه السـلام شـاهد الله على خلقه. وقد جاء الأئمة من بعده يحتوون الأمة ويعرّفـون بالدين من خلال من ثأر لله عـز وجل، ويبقون ينتظرون من يطلب ثأره ويحفظون الدين بحكمتهم وحلمهم وانتظارهم للفرج،فجاء زين العابدين عليه السـلام إلى المدينة وقام بواجبه فأسـس المدرسـة بروحـه وعبادتـه، وجـاء ابنه الباقر عليه السـلام ونشـر علـوم القرآن والإيمـان ومهّـد الطريق للصادق عليهم السـلام فأعلن النشـر أكثر وتوسّـعت دائرة أمر آل محمد عليهم السلام، فخافـ أهل الدنيا على دنياهم فهجّروهم عن مدينة جدهم محمد صلى الله عليه وآله، لأنهم رأوا أطروحتهـم ستسـود في عاصمة جدهم صلـى الله عليه وآله، فبدأ التهجير للكـاظم عليه السـلام إلى بغداد، ثـم الرضا عليه السـلام إلى خراسـان ثم الجواد عليه السلام إلى بغداد في جوار جده الكاظم عليهم



السـلام، وهكذا ابنه الهادي عليهم السـلام إلى سـامراء ومعـه ابنه العسـكري عليهم السلام، واشتد التضييق عليهم لأنه قد قرب مجيء المهدي عليه السلام الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا. وضيّق على أبيه وجدّه من أجله أي تضييق، واسـتطاع الحسن العسـكري عليه السلام القيام بواجبه بعون الله عز وجل اتجاه البقية عليه السلام، فهو الذي حفظه وعرّف بمقامه وهيأ له سفراء يحفظون دعوته وأمته وأن حياتهم تشهد في حقهم وأن سنتهم واحدة لا يخالفون الحق ولا يختلفون في ميزانه فقد عاش الحسن والحسين مع أبيهم أمير المؤمنين عليهم السـلام وما اختلفوا وهذه سنة أهل البيت المشرقة في وحدتها البعيدة عن شيئ اسمه تناقض وكل إمام يتلقى النص ممن سبقه والسنة واحدة وكلهم ذرية بعضها من بعض وكل واحد منهم يتمم دور من قبله ويمهد لمن بعده ولسان المتكلم منهم لسان الصامت صلى الله عليهم أجمعين.

التهيئة لتفعيل الرسالة

وختمت أدوار الائمة عليهم السـلام بدور خاتمهم عليه السلام عجل الله تعالى فرجه الشريف حتى تحققت بداية غيبته منذ ولادته، وقد تهيأت له الأسباب التكوينية، والأسباب المعصومية التي مهدت لغيبته، فالأجواء الشـديدة التي أدت إلى غيبة أبيه وجده عن شيعتهم هـي ممهدة لغيبته عليه السـلام، وقد مهّد الأئمـة جميعًا لغيبته، وما رأى الناس من صدقهم وعلمهم وكمالهم، كل ذلك يعرّف بمقام خاتمهـم، وقد اعتمد الإمام عليه السـلام سـفراء رباهم أباه الحسـن العسـكري وجده علي الهادي عليهم السـلام وغيرذلك من الرجال

والرواة والفقهاء الذين هم خريجوا مدرسة أهل البيت عليهم السلام العارفون بحقهم وعقيدتهم وغيبة مهديهم والمحيطون بسفرائه والمعرفون بمقامهم.

الغيبة الصغرى والنيابة الخاصة

وجاء قيام السفراء الأربعة بالواجب، وهؤلاء معروفون عند الائمة عليهم السلام وعند خواص شيعتهم، فأصبح كل فرد منهم في وقت الغيبة الصغرى مثال للإمام الحق عليه السلام، مثالًا لعلمه وجلاله وجماله ولهم حضور من حضوره، لا يشاركهم فيه أحد، وهؤلاء العظماء عليهم السلام، وهم عثمان وابنه محمد والحسين ابن روح وعلي ابن محمد السمري عليهم السلام ما بقي السلام، إنك تنظر إلى هؤلاء الأربعة فتراهم معروفون عن شيعة الإمام وكل فرد منهم تراه مرآة تامة ومحضره محضرهم عليهم السلام، حتى انتهت الغيبة الصغرى بعلي ابن محمد السمري.



الغيبة الكبرى والنيابة العامة

وانتهت الغيبة الصغرى بالسفير الرابع علي ابن محمد السمري عليه السلام، وقد هيأ الإمام البقية عليه السلام لغيبته الكبرى بإخبار السفير الرابع، حيث نعاه وعزى إخوانه وأخبره أنه لا ينصب أحدًا بعده وقد وقعت الغيبة التامة لمولانا عليه السلام مابقي السلام وأرجع الناس إلى رواة حديثهم، وأن حديثهم حديثهم عليهم السلام، وهو أمر ثابت لهم قبل ولكن أن الأمر قد انحصر باللجوء إليهم، فهم الذين يتحملون مسؤولية هذه الأمة، ويجب أن يجعلوا أنفسهم في موقع

حفظها حفظًا تاما، وأن يتعاونوا بينهم ويسعوا إلى نظم أمرهم، وما أعظمها من مسؤولية، ويجب على المحبين أن يعرفوا هؤلاء العلماء الفقهاء المتعلمين على سبيل نجاة، والذين يرتوون من معين السادة الهداة وقد وصفهم الإمام العسكري عليهم السلام في قول - أما من كان من الفقهاء صائنًا لنفسه حافظًا لدينه مخالفًا لهواه مطيعًا لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه - وبهذا يحفظ الدين ويكون أمره أمر مولاه.

الفرق بين النيابة العامة والنيابة الخاصة.

والفرق بينهما أن الإمام في النيابة الخاصة قد بيّن الحجة على سبيل القضية الخارجية، وحدد النواب والمصاديق بأسمائهم، وأما في النيابة العامة فقد ذكرت على سبيل القضية الحقيقية التي يذكر فيها الإمام صفات المعتمدين (فأما من كان من الفقهاء صائنًا لنفسه حافظًا لدينه مخالفًا لهواه مطيعًا لأمر مولاه) فهي تذكر الصفاة وتحمّل المكلّفين المسؤولية في مقام التطبيق، من هنا ندخل في عنوان آخر وهو مِلاك الإعتماد على العلماء.

مِلاك الإعتماد على العلماء.

ومِلاك الإعتماد عليهم وأخذ الدين منهم أنهم أخذوا دينهم من أهله ورضوا لأنفسهم أن يكونوا في طاعة سادتهم أهل البيت عليهم السلام، وكيف لا يكونون كذلك وقد صاروا أوعية لحديثهم وكفى بهم أنهم حفظوا شيئًا من حديثهم، وأن هذا حديثهم فإنه كثير وكفى أنه يصدهم عليهم أنهم رواة حديثهم فيا لها من رتبة عالية.

حرص الفقهاء على الدين.

ولما أن جمعوا الصفات ولاذوا بالهداة بصدق لذا تراهم مهما اشتدت بهم الفتنة فإنهم هم الذين يحفظون الإسلام والإيمان، فإنهم لايقطعون لحكم شرعي إلا وقد علموا أنهم في طاعة العترة الطاهرة عليهم السلام، وليس عندنا فقيه يقطع ويعلم بالمخالفة لأئمة الهدى سلام الله عليهم، بل أنه ليقطع بالموافقة للواقع وإشراق نور الدليل الشرعي الذي أمر بالتمسّك به، وكفى المكلف إخبار الفقيه عن نفسه وأنه يأخذ دينه من أئمة الهدى عليهم السلام.

حرص الأمة على الدين

وإن الأمة وأهل المودة للقربى لم يرجعوا إلى الفقهاء في زمان الغيبة الكبرى للإمام عليه السلام ولم يسلّموا إليهم قيادهم إلا لأنهم يرتوون من معين أهل البيت عليه السلام، فإنك ما قلدته إلا لأنه معتمد على الثقلين، الكتاب والعترة، ويعتقد أن النجاة محصورة بهما فقط، وهذا أمر ضروري لا يختلف فيه أحد من أيتام آل محمد صلى الله عليه وآله.

السنّة المشرقة

وهذه هي السنّة المشرقة المضيئة، سنّة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله المتمثلة في الصحبة التامة التي رآها الناس في عترته عليهم السلام إلى خاتمهم ثم نوابهم الذين أرجع الناس إليهم بأسمائهم باعتبار (حفراتهم) التي عبرت عنهم رواة حديثنا.



آثار النبوة

وبعد أن وقفت أمام القرآن الكريم وأمام السنّة المشرقة التي عليها آثار النبوة وبها بقاء الكتاب، أحسست بقوة منابع الشريعة وأنها جاءت من القرآن الكريم ومن لسان النبي الكريم صلى الله عليه وآله، الذي لا ينطق عن الهوى ومن أصحابه الذين صحبوه الصحبة التامة وهم عترته، الذين هم المصداق الأتم والذين لا يقاس بهم أحد وأهل الإيمان اليوم يرتوون من معينهم ويهتدون بهديهم عليهم السلام.

أنواع الواقعية في الشريعة



كنّا على موعد معكم لما وقفنا أمام أصول الدين والترابط بين الأصول والفروع، وبين الفروع أنفسها، وتحدثنا عن واقع الشريعة حديثًا موجزا والآن جاء الموعد للحديث عن الشريعة بشيء من الإسهاب ونسأل الله التوفيق، والقول في الشريعة وأحكام الشريعة أنّك إذا وقفت أمام أحكام الشريعة من طهارتها إلى دياتها تقرأ فيها حكمة الخالق جل وعلا المشرّع وتعاين فيها علم الإمام، وتعاين فيها أمانة من حملوها وبلغوها إلى الناس هذه الأمانة التي تتمثل في جدهم وعترته الطاهرة إلى قائمهم عليهم السلام، وإذا خفي شيء فإنما هو من تقصير الأمة معهم سلام الله عليهم، والآن نقف أمام أنواع الواقعية في الشريعة.

وها نحن نقف أمام هذه الأنواع من الواقعية في الشريعة ونبدأ



بالأهم فالأهم في كيفية صنع الفرد الصالح والأمة والصالحة

أولا الواقعية الروحية :

تشـيج نفسك في الشـريعة أحكام العبادات وأولها الصلاة وأنت تنظر إليها كيف تهذب هذا الإنسان وتكسر شهوته وتجعل منه إنسانا متواضعا للآخرين، هـذا التواضع الذي صنعـه تواضعه لخالقـه فإن الصلاة تنزهه وتطهره عن الكبت وإن الزكاة تزكي النفس وتقضي على شح الإنسان، والصيام يثبت الخلوص لله في قلبه ويطهر سـريرته، والحج يربطه بأهل الإيمان وبه تشـييد الدين، والجهاد ثمرة عبادته ويرى فيه صدقه وهكذا تجد العبادات كلها تصنع هذا الإنسـان الصالح وقد عبر عنها أسـتاذ الأساتذة من الفقهاء عبر عن هذا القسم الذي سماه الفقهاء العبادات عبر عنه بالسلوك الخاص لأن العبادات يشترط فيها التقرب إلى الله عز وجل وهذا العنصر المشترك هو الذي يصنع الإنسان وهو منبع السلوك الخاص

ثانيا الواقعية الأخلاقية :

وإذا نظرت إلى احكام الشـريعة تجدها أحكام تتـم أخلاق هذا الإنسـان كما قال صلى الله عليـه وآله (وإنما بعثت لأتمم مكارم الأخـلاق) فإنك اذا تأملت في العبادات كلها من طهـارة وصلاة وزكاة وصيام وحج كلها تزرع الخلق الحسـن وتبدأ من أخد القلب إلى الله تبارك وتعـالى في العبـادة وقد جـاء في الحديـث (إن لصاحب الخلق الحسن مثل أجر الصائم القائم) فانظر القرآن الكريم كيف يصف الذيـن مع رسـول الله صل الله عليه وآله أشـداء على الكفـار رحماء



بينهم وأي خلق أحسن من هذا الخلق وقد أخذوا هذا من أخلاق سيد المرسلين رسول الله صلى الله عليه وآله الذي قال فيه الجليل العظيم (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)[٤٠].

ثالثا الواقعية الإقتصادية:

الفقر يأتي من بخل الإنسان وحرصه على الدنيا، والشريعة تهذب هذا الإنسان و تبدأ في قلبه الرحمة والعطف فإن الصلاة تدعو إلى الزكاة والحب للناس وتجعل حياة هذا الفرد حياة عبادة لله تتمثل في الرحمة لعباده فإن هذه الصدقات وهذا العطف ضمان حاجة المحتاجين وهم أهل هذه العبادة وهذا ما مثله الأنصار في إيثارهم للمهاجرين (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[٤١]

رابعاً الواقعية الأسرية:

إن شريعة السماء تدعو للزواج (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا)[٤٢]، وحث الزوج على أختيار الزوجة لإيمانها (وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ)[٤٣]وحث الزوجة على أختيار الزوح لصلاحه وكرمه (وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ)[٤٤] فإن التأليف بين قلبين كريمين هو الذي يصنع الإنسان الكريم. وإن أفضل مصدر للبناء هو خير أسرة قوامها حب متبادل على أساس الكرم. وأذكر خير أسرة ساد فيها الكرم وصارت مصدر لتربية الأمة، أسرة مدحها الله في كتابه فقال (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا)[٤٥]

٤٠ القلم : ٤
٤١ الحشر : ٩
٤٢ الروم : ٢١
٤٣ البقرة : ٢١١
٤٤ البقرة : ٢١١
٤٥ الانسان:٨-٩




خامساً الواقعية الاجتماعية:

وهذا الدين في أحكامه هو الذي يصنع الأسرة الصالحة وأنه بهذا يصنع الأفراد الصالحين المتعاونيين على الخير ويوجد المجتمع المتحاب المترابط المتعاون على الهدى والاستقامة فإن المجتمع بالأسر.

سادسا الواقعية في صنع الفرد:

وأنت تنظر الشريعة التي صنعت الأسرة المستقيمة وصنعت الأسر المتعددة المتعاونة هي التي صنعت الفرد الصالح فإن صلاح أبويه هو صلاح أسرته وصلاح بيئته وصلاح أمته. فإن صلاح الفرد صلاح الأسرة وصلاح الأسر صلاح البيئة وصلاح البيئة هو صلاح الأمة.

والأمة إذا تعاونت لا يضرها من ضر (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ * لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)[٤٦] فإنهم بعد حبهم لأنفسهم وتعاونهم على البر والتقوى لا يخترقهم أحد وبخلافه الفرد الذي يعيش في مجتمع لا يعرف الأسرة فإن المجتمع قد تكون من أفراد لا تقومه لأنهم جاءوا كل فرد لا يعرف أباه ولا ما عرف عطف الأم ولا عطف الأبو فماذا يرجى من هذا الفرد وماذا يرجى لهذا المجتمع الذي لم تصنع أفراده الصنع المطلوب إنه مجتمع الضياع والبعد عن التآزر والبعد عن الواقعية الفطرية

ومن فطرة هذا الإنسان الذي يريد أن يعرف أمه وأباه وأجداده وجداته وأعمامه وعماته وهكذا يتنفس مع العواطف التي تبدأ

---

٤٦ المائدة : ١٠٥



بالأم والأب والأخت والأخ والخال والخالة والعم والعمة حتى يشق طريقهم في الحياة وهذا هو الواقع والفطرة في حياة الأسرة التي فشلت الشيوعية عندما أرادت القضاء عليها فما استطاعت كما فشلت في إنكار الملكية الفردية.

سابعا الواقعية الإنسانية

وإن الشريعة التي تصنع فردا هي التي تصنع أسرة ومجتمعا صغيرا، والشريعة التي تصنع المجتمع الصغير هي التي تصنع المجتمع الكبير، والشريعة التي تصنع المجتمع الكبير هي التي تستطيع أن تصنع الإنسانية جميعاً وتجعلهم أمة واحدة لأن الإنسان هو الإنسان وهو أخو الإنسان في صقع الواقع وعالم الخلقة والفطرة فهو في هذا التركيب الحسي والمعنوي واحد في نوعه وحقيقته في كل زمانٍ وفي كل مكان. وكلكم لآدم وهذا هو السر الذي جعل الإسلام ينتشر في كل زمان ولا زال ينتشر رغم تحديات أنواع الفتن لأنه دين الإنسان وقد قام الدين بأمة من شعوب وقبائل متضادة والله سبحانه هو الذي ألف بين أبيضهم وأسودهم وقد قال الجليل مخاطبا الإنسانية (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)[٤٧] فإنكم كنتم أمة واحدة فهذا سلمان منا وهذا أبو لهب ليس منا كانت مودة سلمان له رحما وقد رفع الإسلام سلمان فارسٍ وقد وضع الشرف الشريف أبا لهب والشرف شرف التقوى كما قال الرضا عليه السلام «أشرف مني من كان أتقى لله مني» وقد علّم الإسلام الإنسان المسلم كيف يكتب المشرف فقرة (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ)[٤٨] فإنك إذا أعطيته الأمان أريته إنسانية الإسلام وأصغى إلى كلمة التوحيد قلبه وأعماقه.

٤٧ الحجرات: ٣١

٤٨ التوبة: ٦

ثامنا الواقعية الطبيعية

بعد هذه الوقفات تلمس أن الإسلام هو شرعة الإنسان التي تحل مشاكله وتعيش عمق واقعه وترجعه إلى فطرته وخلقته وتلمس أن هذه الشريعة هي الناموس والقانون الطبيعي فإن القوانين الطبيعية لا يمكن مخالفتها لإن من خالفها يلقى جزائه سريعا فمن الذي يتحدى الجاذبية؟ فالذي يتحدى الجاذبية يرى جزائه، ومن يتحدى الأمراض والأدواء يتمكن من مرضه ودائه فلا فرق بين من يتحدى الجاذبية ويسقط نفسه من السطح فيتكسر وبين من يشرب الخمر فيهلكه الخمر. وإن حكمة مخالفة قانون الجاذبية حرمة تكوينية وكذلك حرمة شرب الخمر والزنا والسرقة وتعطيل الحدود والربا فإنها حرمة تكوينية طبيعية ولكن الجزاء يتأخر.

تاسعا الواقعية الشاملة:

رأيت الدين في عقائده وأحكامه وأن عقائد الإسلام تامة تجيب على كل سؤال يطرحه هذا العاقل مالئة لكل فراغ فكري ولا يجد المؤمن عنده رموزًا أو جواب غير واضح وما ذلك إلا لواقعية العقيدة الإسلامية وإنها فطرة. ولما وقفت أمام الشريعة وقفة وإن كانت سريعة فقد رأيت أحكام الله عزوجل تمثل نظام الإنسانية في الحياة الفردية والأسرية والإجتماعية وعلى مستوى كل الإنسانية ورأيت الدين هو دين الإنسان الذي يسعده في الدنيا وفي الآخرة (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)[٤٩] ومامن نازلة إلا ولله فيها حكمه.

---

٤٩ الأنعام: ٣٨

عاشراً منبع الشمول:

إنك إذا وقفت أمام قوانين البشرية تراها تعجز عن الشمول لأن الشيء لا يشـمل نفسـه والناس في قوانينهم يعبرون عـن محدوديتهم ونقص عقولهم ونفوسـهم وأما أحـكام الله فكفى أنها دين الله المحيط بكل شيء العالم بالعباد وحاجاتهم في عقائدهم وأحكامهم والدين الحـق لا يخضع للأهـواء لأنه من عنـد الإله الحق سـبحانه وتعالى فهو العالم بعباده وهو الذي يختار له الرسل والأمناء والله أعلم حيث يضع رسالته وماكان له من خيرة في الدين ومن قسم بينهم معيشتهم ولم يجعلها بأيديهم كيف يحكمهم في رحمته والهداة إليه؟





أطروحة المستقبل

وبعد أن وقفت أمام الدين في واقعه العقائدي الفطري و واقعية أحكامه التي تمشي مع الإنسان وهو فطرته وبعد هذا وأنت تنظر إلى الإنسانية الآن وقد رأيت ماضيا والمستقبل مجهول والسؤال أن تنظر إلى البشرية بإختلافها وهي على ظهر هذا الكوكب وأنت ترى كل يقول للناس أنا أسعدكم وأحكامي أحكامكم ويا أيها الناس أنا أنقذكم وكم قد أتى وقال أنا أنا وأنكشف كذبه والسؤال الذي يطرح الآن ماهي الأطروحة الأمل والتي بدت منها معالم طبيعة لهذا الأمل ونحن نطرح بعض الأطروحات بإيجاز وندع القارئ يحكم بحكمه وما أنا إلا طارح يطرح احتمالات وأنت تحكم. فأين الأمل ؟

العبادات الطقوسية :

فهل يحل مشكلة الإنسانية التي يأكل قويها ضعيفها وهي في عصر التطور؟ هل يحل مشكلتها العبادات و الطقوس ؟ فهل يحل مشلكة الإنسان إنسان باع عقله وعبد الشمس وعبد البقر أو عبد ما عبد من أنواع الأصنام ؟ والجواب أن هذه معبودات صماء لا تضر ولا تنفع ولا تحل مشاكل.

المذاهب الوضعية :

وقد رأيت العالم وقد أخذته الرأسمالية والشيوعية التي أقفلت الملكية الخاصة وأصبح الإنسان بين رأسمالية تصنع أكبر رأس مالي وبين شيوعية تخالف فطرته وتحرم عليه أن يملك شيئاً فهل هاتان

الأطروحتان ستحل مشكلة الإنسان؟ وها هي الدنيا وأنت ترى تاجرها الكبير قد تعاون مع التجار الصغار في الهيمنة على الفقراء والمستضعفين والقوي يأكل الضعيف والأقوياء قد تعاونو ورأسهم قد آزرهم فأين الحل؟

وهل تحل هذا المشكلة أطروحة عنصرية يصنعها قوم باسم قومية فارسية أو تركية أو عربية أو غير ذلك؟ وأين القوميات والرسالة الإنسانية و كفا أن شعارها القوم وليس الإنسان.

والجواب عندك!

التورات والإنجيل:

أما التوراة والإنجيل فهي كتب سماوية لكنها لم تثبت أمام وقائع العلم وما قدمت للإنسانية حل وقد تمكن في الأرض أهلها سنين فماذا قدموا؟ وإن صنعوا سعادةً فلقومهم وما قدمو للآخرين شيئا فالمسيحية حققت سعادة لمجتمعها المسيحي فهل أعطت للآخرين شيئا؟ وكذلك أصحاب التوراة.

القرآن الكريم:

القرآن الكريم موجود وثابت أمام شتى التحديات وقد أعترف بعض الكتاب من أهل الكتاب وقد قام بالمقارنة بين الكتب السماوية فرآها لم تثبت أمام حقائق العلم فإن فيها ما يخالف ضرورة العقل وما رأى كتابا ثابتا يتحدى ويتجدد تجدد الليل والنهار إلا القرآن الكريم فالقرآن هو الذي يحل مشكلة الإنسان وقد قال الله جل وعلا لرسوله

الكريم صلى الله عليه وآله (وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)[٥٠] فهو الكتاب القادر على حسم النزاع وإنقاذ الإنسانية وتوحيد كلمتها.

تعدد الفهم للقرآن الكريم

القرآن هو القادر على حل مشكلة الإنسان ولكن تعدد المدارس في فهمه وفهم أحكامه يمثل المشكلة وها أنت ترى المسلمين في عصر العلم والحوار وإلى الآن تراهم في حدة الخلاف فما هو الحل لهذه المشكلة؟ والمسلمون بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله انقسموا إلى مدرستين.

مدرسة الجمهور وهي التي تبنت الخلاف لمن بويعو بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأعترفت بالخلفاء الراشدين ومن بعدهم، ثم جاء بني أمية وبني العباس وجاءت الفترة المظلمة في سقوط وذهاب الخلاف الإسلامية التي أسستها تلك المدرسة فإطرح السؤال أي أمل عنك فيهم وفي مدرستهم؟ وبعد ذلك تقف أمام مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

مدرسة أهل البيت عليهم السلام فقد كان هناك صف كبير في عدده ورتبته يتمسك بعلي إبن أبي طالب عليه السلام والعترة الطاهرة وأنهم هم الخلفاء. وعندهم أدلتهم من الكتاب والسنة وعاشو حياة برهنت على علمهم ولمس الناس فيها إنسانيتهم فالذي لا يعترف بإمامتهم عليهم السلام فقد رآهم الصف الحافظ لهذه الأمة والحريص على سعادتها فاقرأ حياة علي وفاطمة بعد رسول الله صلى

---

٥٠ النحل: ٦٤

الله عليـه وآله وأقـرأ حيـاة أبنائهم الإحدى عشـر إلى مهديهـم عليهم السلام وقد مر عليك كل ذلك في بحث الإمامة فإنهم أخذو بأحاديث جدهم صلى الله عليه وآله ولم تخلو الأرض منهم وهكذا بقي شيعتهم يتمسـكون بهم إلى غيبة قائمهم الثاني عشر عليه السلام حتى جاء دور السـفراء الأربعة اللذين كانوا مرآة للإمام المهدي الغائب عليه السلام وقـد أعطو تمكينا من تمكينه وتميز أولائك الأربعـة تميزا لا يتحداهم فيه أحد وبعد ذلك تمسكوا بالفقهاء الذين هم رواة حديثهم وقد إرتوو مـن علمهم إلى ظهـور الإمام عليه السـلام الإمـام الموعـود الذي وعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله به، ووعدت به الكتب السماوية بل وعدت بالمصلح بعض الاطروحات الوضعية فانظر وفكـر وأقرأ شتى الطرق وسل أين الأمل؟

الواقع المؤمل

قـد وقفت بإيجاز أمام الجهات التي قد يأمل البعـض فيها فهل هي الطقوس أم المذاهب التي وضعها الإنسان؟ أو القوميات أو الكتب السـماوية المحرفة؟ أو القرآن مع إختلاف المسلمين في طريق حكمه؟ أو هـو الرجوع إلى غالب المسـلمين مع غض النظر عـن مصدرهم؟ أو إطروحة مدرسـة العترة الطاهرة التي ماهيتها القرآن الصامت والقرآن الناطق وهم القرآن في كل جهات حياتهـم عليهم السـلام فانظر إلى العالـم وانظـر من عنـده المـدد والمعالم وبعـد أن عرفت ماعرفت عن الرجل المصلح عليه السـلام الذي أجمع على لابديةِ يومه كل العالم فلا بد أن تعرف مدرسته العظيمة التي تدعوا إلى الكتاب وتأخذ الناس وتدعوهم للتمسـك بالكتاب وقد وصفهم الجليل فقال (وَالَّذِينَ

يُمَسِّــكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ)[٥١] فإذا كان هنالك قوم يمسكون بالكتاب وماعرف الناس قدرهم فإن الله لا يضيع أجرهم، فمن هم المصلحون اللذين لا يضيع الله أجرهم ؟ وإني لا أريد أن أكره القارئ على ترجيح رأيٍ ولكنني أدعوه أن يقرأ الإسلام قراءة موضوعية شاملة بعد أن علم أن الإسلام هو الواقع الموافق للفطرة وأن الواقع يعرف نفسه وما كان يمثل الفطرة هو الدين فإنه هو فطرة الله الذي فطر الناس عليها وها أنت قرأت الأطروحات المتعددة وعلمت الإختلاف والإنسان مسئول أمام ربه (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا)[٥٢] فاقرأ مصاديق الأطروحات والنظريات وماذا قدمت للانسانية وانظر إلى رجال صادقين قد شهد الدهر في حقهم واقرأ تاريخ الانسانية واقرأ التاريخ الاسلامي حتى تعرف الرجال المبدئيين اللذين كانت حياة كل فرد منهم حياة الرسالة وحياة القرآن وحياة الاسلام وهموم الإنسانية وحياة كل فرد منهم حياة ملئها عطاء لا يحد فهذا علي بن أبي طالب عليه السلام الذي له اليد الطولى على المسلمين منذ بدأ صغيراً إلى أن انتهت أشواط حياته شهيداً وهذه فاطمة الزهراء عليها السلام التي ماطالت لها الحياة وكم أعطت الحياة وهذا أبو محمد الحسن السبط عليه السلام في صلحه ونصحه للأمة وبعده عن الطمع في الكرسي وهذا أبو عبدالله الحسين عليه السلام في شهادته التي حفظت الإسلام وانظر إلى أولاد الحسين عليه وعليهم السلام اللذين عرفهم سيد الشهداء في خطبته في مكة فقال لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحمته فكلهم في خط وخطى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ان تصل إلى قائمهم عليه السلام فإنهم الدعاة إلى الله واللذين قال فيهم الجليل: (وَمِمَّنْ خَلَقْنَا

٥١ الأعراف: ١٧٠
٥٢ الاسراء: ٣٦



أُمَّةٌ يَهْـدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُـونَ)[53] فإن الهداية إلى الله يجب أن تطابق الحق وإذا تمكنت في الأرض حققت العدل وإن شعراَ قد قيل في غيرهم وهم أولى به وأحق به فاسمع قول الشاعر:

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

فقد عجز الدهر عن معرفة العترة الطاهرة ومعايشتها وإعطائها حقهـا بل كـم ظلمتها بل ظلمها أهلها وما عرفـ قدرهم حتى من يدعي حبهـم وبعد هـذا فانظر إلى المهـدي المصلح من مدرسـة الجمهور وهو بعـد لم يولد فكيف يقدم الدليل على ولادته ومن الذي يعرفـ نسـبه العظيم المطلوب الذي يجتمع مع يومه العظيم وكيف نعرف أسرته التي تُعرفـ مقامه ومن الممهد له فهذه أسئلة تطلب الإجابة عليها من مدرسـة الجمهور فهل يمكن أن يأتي الجواب ؟ وإذا طرحت من خلال مدرسـة العترة الطاهرة فإن الجواب مشـرق فإن الإمـام المهدي عليه السـلام مشرق النسـب إنه ابن الأئمة و راجع إلى جده صلى الله عليه وآله في نسبه وسلسلته المشرقة وإنه ابن فاطمة، وآبائه عليهم السلام قد عرف الزمان صدقهم وأن كل فرد منهم واحد دهره، وهو واضح في نسبه وولادته ونباته ووجوده وعلمه وكماله وخصاله وكل المقومات مشرقة تعرف به وأنه من رسول صلى الله عليه وآله اسما ومسمى.

وهو الذي به تتحقق الهداية الإلهية المسـتمرة وهو الاتصال بين السماء والأرض، لإن الله يهدي للحق والذي خلقني هو يهديني وهداية الخالـق لا تنقطع. والله نور السـماوات والأرض ، والله هـو الهادي في السماوات والأرض وهذا الإمام إن غاب فإنه يعيش مع الأمة ويحمل همها وقد امتدت توجيهاته بسـفرائه الأربعة عليهم السـلام ، ثم من

٥٣ الاعراف : ١٨١





بعدهـم الفقهاء الجامعون لشـرائط النيابـة العامـة واللذين يحملون هم الأمةِ في حياتهـم الدنيوية والأخروية ويحملون هـم هدايتها التامة وها هو المدد مستمر والمعايشـة منه للأمة مستمرة وإنه الأمام الهادي المهدي عليه السـلام الذي يأتي إلى الناس بعد أياس وبعد أن تستغيث الأرض بالسـماء إسـتغاثة صادقة وقد يأسـت من نور العلـم المادي فأصبح نارًا وشنارا.

وهكذا تجد أطروحة المسـتقبل هي اطروحة أهل البيت «عليهم السلام» مابقي السلام

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وأصحابه الصادقين.






مسك الختام

وقفت أمام الواقع النابع من الفطرة و مشيت و رأيت المعرفة وميزان الحقائق و وصلت الى ذلك بالدليل ثم رأيت الأدلة على وجود الخالق تبارك وتعالى بعد السؤال عن مصدر الوجود وبعد ذلك دخلت في التوحيد وأقسامه وعاينت حقيقة العدل وفطريته و واقعيته ثم وصلت للنبوة في ملاكها ورأيت مصداقها الخاتم صلى الله عليه وآله الذي عرف به جميع مصاديقها وبعد هذا وقفت أمام الإمامة في ملاكها وأم ملاكها ملاك النبوة ثم قرأت المعاد في نواحيه المتعددة ورتبته في الأصول ومن مثلته حياتهم وسلوكهم وهم المعصومون عليهم السلام ونوابهم الخاصون صلى الله عليهم وبعدهم الرواة لحديثهم وفقهائهم رحمهم الله أحياء وأموات ورأيت أصول الدين في ترابطها وعاينت الترابط بين الأصول والفروع وهكذا وصلت إلى الترابط بين الفروع نفسها ثم قرأت الواقعية في التشريع مثل ما قرأت الواقعية في الأصول فقد رأيت ذلك في الفروع و بعد هذا وصلت إلى الواقعية في المنابع المتمثلة في الكتاب والعترة عليهم السلام ثم وقفت أمام السنة ، سنة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ثم سنة أهل بيته عليهم السلام ثم وقفت أمام سنة الصحابة رضي الله عنهم وقمت بالمقارنة بين السنتين وميزت سنة أهل البيت عليهم السلام التي عليها باقي الكتاب وآثار النبوة ثم وقفت أمام التهيئة لخاتم الأوصياء عليه السلام المتمثلة في أدوار آبائه عليهم السلام ثم سفرائه صلى الله





عليهم ثم الفقهـاء المرتوين من معينهم رحمة الله عليهم أحياء وامواتاً وقد رأيت الواقعية في المنابع ومصادر الأحكام و وقفت أمام الشـريعة وأنها الشريعة السهلة وهكذا وصلت الى الشريعة في شمولها لشتى جهات حياة الإنسانية فردية وشخصية واجتماعية وعاينت أحكام الله عـز وجـل وإنها جزء مـن القوانين الطبيعيـة لأنها جاءت من عند الله تبـارك وتعالى المحيط لكل شيء وبعدها وصلنا معك الحديث لأطروحة المستقبل أن مشكلة الإنسانية في جحيمها لا تحلها طقوس ولا مذاهب وضعية ولا كتب محرفة ولا كتاب سليم ضائع ولاسنة غير واضحـة المعالم ولا سـنة واقعية معطلة فلا بد مـن إمام يجمع العقول علـى التوحيد ويوحد القلوب بإرجاعها إلى فطرتهـا وطهارتها وإن هذا لا ينطبـق إلا على المصلح المهدي البقية من آل محمد صلى الله عليهم أجمعين وهكذا تسلسـلت القضايا بأدلتها من الإبتـداء إلى الإنتهاء وهذا هو المنهج الإلهي والنهج السماوي الواقعي الفطري الذي هو نهج حياة هذه الإنسـانية وتطورها الحقيقي وقد قالها سيد الأوصياء عليه السلام : (بنا اهتديتم في الظلماء وتسنمتم العلياء).

وصلـى الله علـى سـيدنا ونبينـا وشـفيع ذنوبنـا محمـد وآلـه الطاهرين وجعل عملنا بحقهم في صحيفتنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سـليم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .





الفهرس








